

فاطمة زواي
ثعلب الصحراء
رواية
إصدار دار حكاوي الكتب
www.hakawelkotob.com

تعلب الصحراء

فاطمة زاوي



حكاوي الكتب
للنشر الالكتروني

المقدمة



تقف السيدة على شرفة غرفتها المطلة على حديقة الفيلا تنتظر زوجها و الذي تأخر كثيرا بالعودة مما أثار بداخلها القلق و الاضطراب...ضغطت على أزرار الهاتف الأرضي رقم مكتب زوجها بأنامل مرتجفة...لا رد على اتصالاتها...يزيد اضطرابها و توترها وتسري بجسدها رعشة و يكسى جلدها عرق بارد خوفا مما هو آت...تشدّ على قبضتيها و تعتصر كفيها...و فجأة تضاء أنوار الحديقة بمصابيح الأمامية لسيارة

ما...تخرج بسرعة نحو الشرفة تستكشف عن القادم...إنها سيارة زوجها القادمة من بوابة الفيلا...أكلت السيدة تلك الدرجات بسلم الفيلا في خطوات واسعة لهفة للقاء زوجها...

دفعت باب المنزل و خرجت تسير على رواق حجري المتجه للحديقة...تبحث بعينيها عنه فلم تجده...تقترب من سيارته و تطل بنافذتها...لا وجود له...هل يمارس طقوسه الملعونة في إخافتها ككل مرة؟؟...لا لا لن يفلح هذه المرة في إخافتها و إرعابها لتضطر جالسة بغرفتها لا تستطيع النوم...هكذا وعدت نفسها...أخذت نفسا عميقا و طمأنت قلبها ومسحت براحة يدها على صدرها و تقدمت بخطوات تبحث عنه في الحديقة تسخر حواسها السمعية لتتنصت لأي حركة و أي صوت...

صوت وقوع ش يء ثقيل بالمسبح و صوت خطوات متسارعة...ما لذي يجري هنا؟؟...هكذا صرخت بصوتها المرتعش من الخوف...سحبت نفسها نحو المسبح

قلبها يقول بأنها النهاية...وقفت على حافة المسبح تدقق بنظرها الذي خانها في هذا الظلام لتلمح جسد يطفو على سطح الماء...

ما هذا بحق السماء؟؟؟..."ماركوس"..."ماركوس"...كان هذا اسم خادم المنزل...يخرج هذا الأخير يجري يلبي نداء سيدته...أنظر هناك يا "ماركوس" يوجد شخص على ما أعتقد...

كانت تشير بسبابتها لنقطة فراغ...تتبع اتجاه إصبعها...تجحظ عيناه ويفغر فمه بصدمة...إنه سيدي "توماس"...ماذا؟؟؟...قالت كلمتها لتهوي على الأرض فاقدة الوعي.

يقف المفتش بجسده الضخم جدا بسرواله الأسود القطني و حمالات رمادية و معطف بنيّ اللون كلاسيكي التصميم ذو ياقة كبيرة نوعا ما و قبعة مستديرة بلون المعطف...يشعل سيجارته الفخمة

يأخذ منها نفسا و يزفر دخانها لأعلى رافعا وجهه لشرفة غرفة السيدة..

-هل كانت هناك تنتظر زوجها؟

-أجل يا سيدي..هذا ما قاله "ماركوس" خادم المنزل.

-ممم..جيد جدا.. هل ما زالت السيدة بالعناية المركزة؟

-نعم..طمأنني الطبيب بأننا نستطيع استجوابها ما إن تتوجه لغرفة المستشفى.

-جيد جدا...إذا هناك فقط شاهدين على هاته الجريمة..خادم المنزل وزوجة الضحية.

-هذا صحيح...و سيطلعنا الطبيب الشرعي عن سبب الوفاة و زمن وقوع الجريمة.

-جيد جدا...و هل وجدت الرمل على الجثة كالعادة؟

-أجل...ككل مرة وجود ذرات رمل على الجثة.

-هذا جيد جدا...

-ما بال هذا الخرف؟؟..كل شيء في نظره جيد جدا..

حتى و هو أمام جثة نكل بها أشد التنكيل يقول "جيد جدا..."

(قالها محدثا نفسه و يرمقه بنظرات جانبية هجينة)

-لا تحدق بي هكذا يا "وسام"...حان وقت استدعائه إلى هنا..

تغلف ملامح الصدمة وجه "وسام" غير مستوعب ما سمعه من المفتش:

-سيدي المفتش...أتنوي الاتصال به حقا؟

-أجل يا "وسام" فهاته القضية معقدة جدا و لن يحلها غيره.

-و هل حضرتك واثق من قدرته على فعل ذلك ؟

-كل ما أعلمه أنه ابن أبيه و الأكيد سيكون في مستوى ذكائه...المهم جد طريقة تطلعه على القضية يا "وسام" دون أن يلحظ تعمدك على ذكرها.

-و لم يا سيدي؟

-كفى أسئلة...سيأتي بعد يومين...استعد لاستقباله.

-لا تقلق سيدي المفتش.

يسدل الستار على آخر جريمة قتل وقعت في مدينة "أكسفورد" أدت إلى مقتل "توماس نايف" مدير مؤسسة تجارية للأقمشة لتهز أرجاء المدينة...الضحية

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

الفصل الأول

المشهد الأول



تسللت أشعة الشمس إلى تلك الحجرة الصغيرة جداً لا تتسع لمكتب كبير حتى...لتداعب سطح الأوراق المتناثرة على الأرضية مشكلة سجادة بيضاء...كُور معظمها و ألقي به في تلك السلة المصنوعة من جريد النخل المركونة هناك في زاوية الحجرة...و بعضا من تلك الأوراق يتدلى من على الرفوف المغلفة بأتربة لم تنظف منذ أزل...صُفت بها بعض الكتب القديمة و التاريخية و البوليسية ترك الزمن

بصمته عليها من تمزق الغلاف و اصفرار
الأوراق و انثناء حوافها...أزعجت تلك
الأسهم الذهبية الدافئة وجنة الشخص
النائم بين هاته الفوضى يحضن رأسه بين
ذراعيه على الطاولة الصغيرة...بشعر
أشعث و مبعثر...مرتدياً قميصا أبيض
اللون بأزرارٍ و سروالا أسودا بحمالات
رمادية...

تململ في وضعه غير المريح يحجب
خيوط الشمس بكفه
التي غطت نصف وجهه الظاهر.

الهدوء يعم المكان و السكينة تغلف
المكتبة...و فجأة صوت زئير امرأة
سمينة البدن سمراء البشرة أرملة أو لنقل
زوجها مفقود لا تعرف إن كان حيا أم
ميتا منذ خروجه قبل عشر سنوات لم
يعد ولم يظهر له أثر سوى بعض الشائعات
المنتشرة بأنه قد اغتيل في طريق
عودته لغرداية أحد ولايات الجزائرية و
الواقعة بجنوبها ذات طابع صحراوي
تزينها تلك الكثبان ذهبية اللّون
متحدة مع أسهم الشمس ليرسموا لوحة

ذهبية براقة تفرض نفسها سلطانا على باقي الولايات...لكن هاته اللوحة لم تترك لحالها لم تسلم من الأيادي المغتصبة فقد عانت من فترة احتلال الفرنس ي و حصاراً خانقا يسلب حرية المرء ويخضعه لقوانين السادي الجديدة...

و كان "محمد" زوجها من أصحاب النظرة الثاقبة و سلطة لسان فذة ورجاحة عقل و قوة الاستنتاج هذا ما جعله مطمع المحتل يعمل معهم أو تنتهي حياته..."محمد" ليس من نوع المستسلم

و الراضخ لسادي هو الطاغية رفض العرض بكل قوة...فهل سر اختفاءه وراء رفضه لعرضهم؟؟..كان هذا سؤال أغلب سكان المدينة..وفاء هاته السيدة لزوجها جعلها تربي وحيدها منتظرة إياه ليعود بفارغ الصبر و لم تكف عن الترحم له فالرحمة تجوز على الحيّ و الميت...

كان صوتها يكسر ذلك السكون و يضرب بالهدوء عرض الحائط يخرم الأذن

آت من بعيد يوقظ الأموات و يرعب الأحياء:

-ريـ اض...ريـ اض أنت يا ولد انهض بسرعة.

تلج لتلك الحجرة لتجدها في فوض ى عارمة كادت تمحي وجود" رياض" النائم...تأخذ نفس عمي ق و تطلق صوتا جعلت الطيور تحلق بالسماء مودعة ذلك المنزل و تلك المنطقة للأبد دون رجعة...و رغم ذلك الصوت الذي يرعش البدن إلا أن فلذة كبدها و وحيدها "رياض" لم يفزع و لم يزعزع كيانه فقد اعتاد على صوت والدته "سكينة..."

نهض متثاقلا من على كرسيه...و أخذ يمرن عظام رقبته و يتثاءب في تكاسل و قال مبتسما:

-صباحك جميل يا أماه...لم كل هذا الصراخ؟

كان "رياض" شاباً في السابع و العشرين من عمره طويل القامة مفتول العضلات و منحوت الجسد...صاحب الشعر المظلم و

العينين الرماديتين تأسرك ما إن تقع عيناك أسيرة عينيه...

ذو حاجبين أسودين كثيفين...و أنف مستقيم معقوف قليلاً من فوق وصاحب الشفاه الممتلئة قليلاً و القاسية... ازدان وجهه لحية خفيفة حالكة السواد تبرز وجهه الوسيم القاسي...وسامة عربية فذة...

رجولة صحراوية ناطقة...دماء جزائرية حارة...الحاصل على شهادة المحاماة بامتياز..تم اختيار تخصصه ليجعله قريبا من حلمه...و لكن هيهات لأحلام تتحقق في بلد مسلوب الحرية... كان يؤمن بأن الحياة تمنح للطموحين فرصة واحدة إن اعتلاها وصلْ و إن خاف ركوب الخطر ضاع حلمه...لم يكن يوماً كأقرانه طائشاً أو مستهترا يركب بحر الحياة و يغوص في ملذات الدنيا لم يكن لاهيا أو مواعداً للفتيات...

يعتبر هذا بالنسبة له مضيعة للوقت و تافهة من توافه الحياة المترسبة في عقول الشباب...كان يدرك حقيقة

واحدة و هي انه ما خُلِقَ على الأرض و ما وُجِدَ في الحياة إلا لشيء معين يفعله سواء جيد أم سيئ و هو المخير بين هذين الأمرين فاختار منذ نعومة أظافره أن يتبع إلهام والده "محمد" الروائي الشهير و صاحب الذكاء الخارق و مهووس بمطالعة روايات البوليسية...كان يدفن نفسه في تلك الحجرة و يغيب عن العالم الواقعي لكي يغرق في صفحات الرواية و يسبح بين سطورها بمهارة صائداً كل معلومة تفيده...تجعله يشعر بالإثارة والتشويق و حب المغامرة...كان يكسب خبرة المتحريين و تفكير المجرمين و قوة الملاحظة و دقة الاستنتاج و حنكة ربط الحقائق.

جلس على المنضدة يطرق رأسه للأسفل يكسو وجهه ملامح الحزن واليأس...هو يقف أمام طريق ينظر إلى نور مستقبله في نهايته لكن هناك عثرة تعيق تقدمه إنها والدته "سكينة"...عندما وصل لهاته النقطة من التفكير الكثير حتى تجهم وجهه و قست ملامحه و قبض

على كفه بقوة حتى ابيضت مسلماتها...و نفض أفكاره بعنف...

هل جننت يا "رياض" هل تجد والدتك و رفيقة دربك و التي تخلت عن شبابها لتربيتك و سخرت كل وقتها لتراك الآن رجلا عثرة و حجرة تقف أمام نجاحك تعيق سفرك لتحقيق ذاتك...أنت حقا يا "رياض" وغد وحقير و عاق أيضا...كان يخاطب نفسه و يقيم حوار داخليا صوت يقول له تقدم و سافر و لا تنظر للخلف أبدا اتصاله لك

بمثابة ورقة اليناصيب...و صوت آخر ينهره لا تفعل ب"سكينة" هذا لا تخذلها..لقد ربت رجلا و ليس وغداً كن أنت رجلها الذي حرمت منه طيلة حياتها كن كيانها و وطنها..فلعلى خيرا تجده وراء رضا والدتك...استغفر اللّه كثيراً حتى هدأت نفسه و انتظمت أنفاسه و لانت ملامحه...كل هذا لم يخفى عن عيني "سكينة" الجالسة بجواره تقرأ رواية ولدها و ما يصيبه على صفحة وجهه...تفهمه من حركة يديه و نظراته

المتجنبة وذبذبات صوته...فلذة كبدها يعاني الأمرين..و عليها تسهيل اتخاذ قراره السليم...أجل يا "سكينة" من أجل حلم ولدك "رياض" و رغبة زوجك و عزيز قلبك "محمد"...مهدي له طريق السفر نحو حلمه.

-هل أنت بخير يا ولدي؟

رفع رأسه و نظر إلى عينها ثم تجنب نظراتها و عاد ببصره لصحنه:

-أنا بخير يا "سكينة" ما دمت أنتِ معي.

-و لكني أراك تعاني منذ اتصال صديق والدك بك.

-أنتِ تعلمين مدى رغبتي بتحقيق حلمي في عالم التحقيق...لكن اتصاله جاء مع وقت دراستي لهذا لست سعيدا أبداً.

-أنظر إلي يا بني.

صمت "رياض" و لم يرفع بصره..لم يجرأ..خانته صلابته و انقشع غلاف القسوة...عاد طفلا يهرب من تأنيب والدته..يأبى أن يعترف لها أنه مخطئ..

عادت مرة أخرى تطلب منه أن ينظر إليها...ليرفع هو وجهه نحوها و ينظر لعينيها التي تفيض حنانا نعم إنها وطنه و ملجأه...

وقف من على كرسيه و دنا منها و انحنى بظهره يقبّل رأسها و رفع كفها لشفتيه يطبع قبّلته بعمق يدعو اللّه أن يسامحه على تفكيره قبل قليل بأن "سكينة" ما هي إلا عثرة في طريق نجاحه...

-أطال اللّه عمرك يا "رياض" قلب "سكينة" و ليحفظك من كل سوء و يسلمك من كل شر..رعاك اللّه في غيابي و صانك لي و وفقك اللّه في عملك و بحثك و تحقيق حلمك.. قلبي راضٍ عنك بالحياة و الآخرة.

-لم كل هذا يا "سكينة"..و كيف تقولين في غيابك؟

-اذهب يا ولدي...سافر إلى انجلترا و لبي رغبة والدك "محمد" كن أنت نجاحه و فخره كن أنت رجلي و عزتي..أنا أمنحك إذني بالتحليق نحو حلمك.

-و لكن يا "سكينة.."

-لا تقلق...سأذهب و أقيم مع أخي "صالح" فهو وحيد و يحتاجني أكيد وسيفرح بإقامتي عنده..لا تربط نفسك بي يا "رياض"..اذهب فأنا راضية تماماً عليك بل أنا التي تطلب منك ذلك لا تفشل و لا تسأم..أنت لها يا روح "سكينة."

احتضن رأس والدته لصدره يتشرب حنانها و يستنشق عطرها يدخره برئتيه ما إن اشتاق لها يجده و يلثم به أنفه...كيف يا "سكينة" أيتها المرأة الضعيفة تحملين كل هذا الحنان و العطاء لا تنتظرين أبدا الرّد أو المقابل لا تفكرين قط بالأخذ أنتِ حقا بئر لا ينضب أدامك اللّه لي وحفظك دوما بجانبي...كان يحدث نفسه و هو يزيد من ضمّ والدته لصدره يقبّل رأسها.

جاء اليوم المنشود الذي انتظره بفارغ الصبر و هو السفر إلى أراض ي انجلترا بعدما تلقى دعوة من صديق والده للعمل مساعد مفتش شرطة...فرح بهذه البرقية لتقربه من حلمه و قرر السفر في

اقرب وقت و لكن خوف

والدته"سكينة" إن يحصل له ما حصل

لوالده " محمد" و تفقد وحيدها منعته

في بادئ الأمر بقوة...لكن شغف ولدها

وقف حائلا بينها و بين خوفها عليه

ليغلف قلبها بغلاف الحنان و حب الخير

لابنها جعلها تتراجع عن قرارها و تمنحه

الإذن في التحليق نحو نقطة بداية

تحقيق حلمه و مستقبله و ترضخ أخيرا

لرغبة والده "محمد" و دعت اللّه أن

يحمي لها " رياض" و يحفظه و يرجعه إلى

أحضانها سالما كما حدث مع أم موس ى

عليه السلام.

المشهد الثاني

حمل " رياض" حقيبته الصغيرة و الممتلئة طبعا بكتب و رواياته مع بضعة ملابس والتي حضرتها له والدته "سكينة" و أخذ معه معطفا تحسبا لجو البارد الذي يميز انجلترا و ارتدى قبعته الانجليزية التي تعود لوالده...ودّع والدته "سكينة" تحت شلالات دموعها التي تحرقه و تشعره بذنب تركها وحدها...وعدها بأنه سيكون على الاتصال بها وستصلها برقياته يوميا...و سارع هاربا من هذا الموقف متجها إلى المحطة ليركب القطار المتجه إلى مطار "هواري بومدين" بالعاصمة الجزائرية منبهراً بجمال هذه الولاية ولأول مرة يقوم بزيارتها ...مباني عالية عريقة تشبه التي شاهدها في صور الكتب...ضجيج و أصوات محركات السيارات و تزاحم المشاة مع همهمتهم التي لا تنقطع...

كل هذا الضجيج كان من الأمور الجديدة التي عايشها عكس ما كانت

ترسمه غرداية من هدوء و سكون و نقاء الهواء... لوحة فنية تلهم الفنان ليخط بيده جمالها و فتنتها على لوحته الخالية.

أحس " رياض" أنه أمام اكتشافات كثيرة في هذه الرحلة فعزم على المضي قدما و العمل باجتهاد و تحقيق رغبته و رغبة والده "محمد" ليركب أول طائرة يسافر على متنها إلى "أكسفورد" و هي مدينة تقع في أوكسفوردشير، في وادي نهر التيمز بانجلترا و بها تقع جامعة أكسفورد الشهيرة عدد سكانها 145100 نسمة وهي مدينة صغيرة المساحة بنسبة إلى تعداد سكانها و تحتفظ بمساحات خضراء عديدة تصل إلى غاية مركز المدينة أما نشاطاتها الصناعية فتكمن في تصنيع السيارات...

كما تتميز مدينة أكسفورد باحتضانها أمثال لكافة الطرازات المعمارية •الانجليزية الوافدة منها و الأصلية منذ فجر التاريخ المعروف لما باتيعرف اليوم بدولة انجلترا، و أبرز معالم المدينة

المعمارية قمرة رادك ليف التي شيدت في القرن الثامن عشر الميلادي...هبطت الطائرة فيالمطار كالرديف الدولي و نزل جميع الركاب و من بينهم " رياض" ملأ رئتيه بكمية هواء تلك المدينة حتى انتفخ صدره سعادة و إلتمعت عيناه شغفا و ابتسم ثغره أملا...هنا على هذه الأرض سيحقق حلمه سيتبع اثر "شارلوك هولمز" و "هرك يول بوارو. "

تقدم "رياض" بخطوات ثابتة ثقيلة يحرك رأسه يمينا شمالا...يبحث عناسمه...يرمق بنظراته لوحات المنتظرين ليجد اسمه"رياض عبد العزيز" بالانجليزية ليبتهج و يسرع نحو الشخص الحامل لهذه اللوحة...

كان هذا الشخص شابا في مقتبل العمر متوسط القامة و رياض ي

الجسد، شعره أشقر ذهبي اللّون مصفف بطريقة مرتبة و أنيقة...يمتاز بجبين عريض مسطح زاده وسامة...ذو عينين زرقاوتين عميقتين بهماسحر عجيب

يجذبك و يأسرك بل يكاد يقسم أن عيني هذا الشخص

تعقلك و تعرقل أي حركة يصدرها جسدك...تقدم منه بخطوات حذرة حتى وقف أمامه:

- أنت "رياض"... صح؟

-مرحبا...أجل أنا "رياض عبد العزيز."

-مرحبا بك سيدي...لقد خفت عدم إيجادك.

-حضرتك تتحدث العربية بطلاقة...

-طبعا...أدعى "وسام الشرقاو ي" مصري الجنسية والدتي ايطالية)ثم يبتسم ثغره(هذا ما يفسره مظهري الأجنبي سأكون شريكك في العمل...نادني"وسام" فلا داعي ل"حضرتك"...أرسلني المفتش "أرمسترونغ جونز" لاستقبالك كما أني زميلك في السكن.

-سعدت حقا بالتحدث مع عربي ...و سنقض ي أوقات رائعة مع بعض...كم تبلغ من العمر يا "وسام"؟

- أبلغ من العمر ثماني و عشرون سنة...و أنت يا "رياض"؟

-و أنا سبع و عشرون سنة...فارق سنة ليس بالفرق الكبير...إذن هيا بنا يا صديقي.

نظر إليه " وسام" بدهشة و استغراب حائراً في طريقة تعامل "رياض"العفوية صاحب المعنويات المرتفعة...مالك الحس الفكاهة و روح المرحة...

و بشاشة وجهه تجعل أي شخص يرتاح له...صاحبالبسمة الساحرة و الفذة و التي تزيد "رياض" وسامتو حضوراً

ناهيك عن أخلاقه الحميدة التي ترفع من مقامه رجولة و بسالة.

ركب كل من "وسام" و "رياض" سيارة الأجرة متجهين إلى مركز الشرطة "ميشيغان" ليلتقيا بالمفتش "أرمسترونغ" و في الطريق كان "رياض" يحملق في المدينة عبر نافذة السيارة بعينين باهرتين بفتنة المناظر والمباني...سحر عجيب في هاته المدينة...هذا ما ترجمه لسانه ل"وسام":

-ما أجمل هذه المدينة يا "وسام".

-إنها صغيرة لكنها رائعة تمزج بين بساط أخضر طبيعي و سجادة عمران راقية و بها فرص عمل كثيرة لما تمتاز به من نشاطات صناعية.

-و ما هي الأحوال الإجرامية هنا؟..أتمنى أن يكو نهناك مجرمين أذكياء يستحقون تشغيل عقلي و تكريسمعظم الوقت في البحث عنهم.

قهقه "وسام" بصخب:

-هل تتمنى وقوع جرائم فقط لإطفاء شعلة فضولك و إشباع رغبتك فيالتحقيق.

ابتسم "رياض":

-ليس لهذه الدرجة يا "وسام."

-في أي بلد توجد جرائم و مجرمين و حوادث تؤذي حياة الأبرياء...و آخر مستجدات القضايا التي لم تحل...قضية غريبة و مستمرة...ستة جثث..ستة جرائم تقع على التوالي..و القاتل مجهو ل.

ما كاد ينهي كلامه حتى انتفض "رياض" من مكانه وتشبث بذراع "وسام:"

-احكي لي كل ما يتعلق بهذا المجرم و لا تغفل عن أي نقطة.

-سنصل إلى المركز و سأطلعك بجميع الملفات المتعلقة بهذه القضية...الملقب ب"ثعلب الصحراء."

عاد "رياض" لوضعه و أسند رأسه على مقعد السيارة بعيون مشتعلة حماساً و غمغم بكلام لم يفهمه جليسه:

-ثعلب الصحراء؟؟؟.... هذا ممتع.

المشهد الثالث

بعد نصف ساعة من السير بالسيارة وصلا إلى المركز الشرطة...كان المركز لا يكاد يميز من البنايات الشاهقة والعتيقة ذات طراز كلاسيكي قديم...ترجل كل من "رياض" و "وسام" من السيارة أمام المبنى رفع "رياض" رأسه عاليا مندهشا من جمال و رقيّ هذه المباني:

-هلا دخلنا ؟..و لا تحاول يا صديقي معرفة المدينة في يوم واحد.

تبادلا الابتسامة و دخلا المبنى...كان يمتاز بمساحة واسعة و كثرة الأروقة المؤدية إلى غرف مكاتب مفتشين و عاملي الإدارة...كان يعج بحركة رجال الشرطة و المجرمين المقتادين إلى السجون في انتظار الحكم...

أول ما لفت انتباه "رياض" رجليّ الشرطة الواقفين بمحاذاة البوابة للحراسة...كانا ضخميّ الجثة...أحمرا البشرة من شدة البرد القارص...كثيفيّ الشوارب... دفع "وسام" البوابة ليواجههم مكتب استقبال على شكل نصف دائرة بيضاء اللّون يجلس عليها ثلاثة من الشرطة يحملون مسدسات شخصية على الحزام...أصحاب نظرة

باردة أو بالأحرى نظرة غير مبالية...أحدهم يطّلع على جريدة...و الثانيتحاوران بهمهمة ربما هي تلك الإنجليزية المعقدة و التي لم يفهم منها شيئا إلا بضع كليمات العريقة الصعبة لا غبار عنها... يحملان كوبيّ من القهوة الساخنة ترسل لهم القليل من الدفء.

كانت نظرات "رياض" كالكاميرا الرقمية تلتقط كل ش يء و تخزنه في عقله لم يترك ركناً إلا و مسحته عيناه...كانت كعينا نسر ترصد كل حركة وتلمح كل صغيرة و كبيرة...لا يريد تفويت أي جزء من الثانية في إطراق رأسه أرضا أو تصويب بصره مباشرة...صعدا السلالم مشيا في رواق طويل ينتهي بباب غرفة مكتب رئيسية تعود ل"أرمسترونغ"...لم يشأ "وسام" قطع تأملات "رياض" و تجهم وجهه و شرود عيناه في كل ش يء...طرق "وسام" باب غرفة المكتب و استأذن بالدخول:

-هل لي بالدخول يا سيدي؟

يأتيه صوت أجش خشن يدّل على رجل ضخم للغاية و هذا ما تصوره "رياض" في عقله بعدما التقطت أذناه جملة المفتش "أرمسترونغ" و تذكر شخصاً عزيزاً عليه يملك صوتاً قوياً كهذا الصوت ليبتسم في حنان:

-تفضل بالدخول يا "وسام."

فتح "وسام" الباب و دلف إلى الغرفة يتبعه "رياض" المتحمس و بنظرة خاطفة منه نحو الشخص المتقوقع وراء المكتب ليجد رجلا ضخماً جداً ابتسم و بداخله:

-هذا ما توقعته بضبط...يشبه والدتي العملاقة.

-مرحبا بك يا أستاذ "رياض عبد العزيز"...تسعدني رؤيتك.

قالها المفتش "أرمسترونغ" و هو يهم بالوقوف لمصافحة "رياض" ضئيلالحجم مقارنة بهذا العملاق الضخم...ذو عينين حادتين قد تسربت لهما برودة الجو لتتقض ي على روح الحياة فيهما و يحي الجفاء مكانها لو رأى الطفل الصغير هاته العينين لتحول إلى تمثال أبيض اللّون جفت منه الدماء و توقف القلب و زاغت العينين و اقشعر الجلد و سارت برودة الرعب على العظام...

له شاربان كثيفان برتقاليا اللون يمتزج ببعض الشعيرات البيضاء المتمردة يظلان شفتيه القاسيتين لو تحدث لن تعرف أنه صاحب الكلمات لعدم رؤيتك تحرك

ثغره...كان أصلع الرأس تلمع تحت أشعة الشمس المتسربة من نافذة كبيرة و جميلة التصميم.

رفع "رياض" رأسه عاليا جدا متمنيا أن لا تصاب رقبته بتشنجات جراء رفعها كثيرا في التحدث مع هذا الوحش مبتسما لتخيلاته الطفولية مقارنا حجمه بحجم المفتش:

-مرحبا سيدي المفتش...أسعدتني حقا برقيتك و دعوتك لي بالعمل تحتإشرافك.

-تفضلا بالجلوس...)بعدما جلسوا(يؤسفني حقا لما جرى لوالدك "محمد"كان صديقا وفيا و رجلا شهما و متحري بارع.

-لطالما حدثني والدي عن براعتك في التحقيق و عن أسلوبك الصارم في استجواب المجرم و عن عدد القضايا الناجحة التي كانت تحت يديك.

يقهقه المفتش "أرمسترونغ" بصوت مجلجل:

-هذا إطراء كبير أتحمله على عاتقي.

-ليس إطراءً سيدي...بل هي حقيقة...و أتمنى أن أحذو خطاك سيدي ويلمع اسمي كما كان يتمنى والدي رحمه اللّه.

-لك لسان متملق كلسان والدك "محمد" تكسبون قلوب الناس بأسلوب سلس و دهاء في فهم شخصية الجالس أمامكم...و كأني أحدث نسخة الأصلية لوالدك.

-يسعدني هذا التشبيه جدا.

-ماذا تشربان؟...قبل البدء في الحديث الهام.

نظرا إلى بعضهما البعض و تلفتا إلى المفتش "أرمسترونغ: "

-قهوة.

-هل أنتما متفقان من قبل على المشروب؟

ينهي جملته بضحكة عالية لترتسم تعابير البلاهة على تقاسيم وجه "رياض" و الاستغراب على ملامح وجه "وسام":

-لولا كلام والدي عنه لاعتقدت أنه مختل عقلي.

قالها "رياض" محدثا نفسه بابتسامة ساخرة حاول محوها قبل أن تلمحها عينا المفتش الجافة:

-كوبين من القهوة و كوب شوكولاطة ساخنة...من فضلك.

أنهى المفتش "أرمسترونغ"المحادثة بالهاتف سريعا ليلتفت ل"رياض"و "وسام:"

-سيدي المفتش حدثني "وسام" قبل وصولي إلى هنا عنقضية مهمة لكم..."ثعلب الصحراء" هو عنوانها و التيتتصدر الصحف الآن و تلوكها الألسن...أود معرفة المزيد عنها.

ساد الصمت بغرفة المكتب لبرهة و لم يطل ليكسره صوت المفتش "أرمسترونغ" و الذي كان صامتا يحتس ي كوب شيكولاطة الساخنة ويتطلع على "رياض" بنظرات جامدة كان حاله أقل من حالة "وسام"المتطلع لوجه "رياض" مندهش لجرأته و قوة عزيمته.

نهض المفتش "أرمسترونغ" بعدما وضع كوبه على المنضدة الموضوعة بينهم و اتجه إلى مكتبه و استدار إلى نافذة بعدما كتف ذراعيه إلى صدره و أغمض عينيه و أخذ نفسا عميقا:

-و ما الثمن الذي سأجنيه من وراء اطلاعك على هذه الملفات؟وصلت جملته لمسامع "رياض" ليندهش من هذا السؤال و تنطلي عليه ملامح الحيرة:

-ما ترمي إليه...سيدي المفتش؟

استدار إليه المفتش و انحنى على مكتبه مرتكزا على كلتا يديه و صوب نظراته الثاقبة إلى "رياض":

-سأمنحك ما ترغب به...لكن هناك شرط.

تزداد غرابة "رياض" محاولا سبر أغوار المفتش و فهم ما ينوي قوله له:

-شرط؟؟؟

-أجل...سأمنحك الإذن بإطلاع على الملفات و ليس هذا فقط ستكون قضية "ثعلب الصحراء" مسؤوليتك

وسيساعدك "وسام" في ذلك لكن إن لم تستطع الإمساك به...اعتبر نفسك نائما في بيتك تراقب النجوم بالسماء...و لن أسمع لك أي تدخل في مجال التحقيق.

-و لكن يا سيدي...

-أرجوك "وسام" ابق هادئا...أنا موافق يا سيدي على شرطك هذا...و أعدك بنيل من "ثعلب الصحراء" هذا و كشف هويته.

-أجننت يا "رياض"؟؟؟... أتضع رهانا خاسرا.

-لم آت إلى هنا يا "وسام" عبثا أو لعبا لأمسك قضايا تافهة لا تمت بأي صلة بدهاء المجرمين كسرقة خبز...أو السطو على كوخ...بل جئت آملا في الحصول على فرصة كهذه إن لم أثبت وجودي هنا في عالم المتحريين والمحققين بهذه القضية...فسأتطوع بالعودة إلى أدراجي.

-حسم الأمر الآن ...القضية لك فلا تخيب ظني يا "رياض".

ابتسم "رياض" بحماس متأكدا من غرز صنارته ببطن الحوت:

-لن أخيب ظنك بي...تأكد من ذلك يا سيدي المفتش.

قال جملته هاته و هو يرصد تعابير المفتش ببسمة ذات مغزى و عيناه تلمعان نصرا يحدث نفسه:

-هذه هي البداية فقط يا سيدي...سأبحث عنه و أجده..أنا متأكد بأنه على قيد الحياة.

خرج كل من "وسام" و "رياض" من المكتب...كان شعورهما و إحساسهما مختلفا تماما...كان "رياض" سعيدا جدا للفرصة التي أتيحت إليه ليبرز مواهبه و يختبر ما درسه و تعلمه من الكتب و الروايات و الأشرطة التلفزيونية و يطلقه على أرض الواقع...و لسبب آخر احتفظ به لنفسه

أما "وسام" كان خائفا بعض الش يء أن يفشل "رياض" في الإمساك ب"ثعلب الصحراء" وعودته بعد ذلك لدياره

بعدما أحبه و نسج أحلام الصداقة معه
ولكن سرعان ما انقشع هذا الخوف
بلمحة واحدة على تقاسيم وجه "رياض"
المرتاحة و المشتعلة نار الحماس فقرر
مساعدته بما يحتاجه و يكون له العون
في الغربة.

نهاية الفصل

الفصل الثاني

المشهد الاول



عاد "رياض" إلى الغرفة التي يقيم فيها مع "وسام
منذ يومين من وصوله إلى "أكسفورد"...غرفة صغيرة ملحقة بركن للمطبخ و حماما تتميز بترتيب و تنظيم و
النظافة مزودة بسريرين يفصل بينهما تسريحة بلا مرآة
وضعت عليها مزهرية و كتيببين للمطالعة مزودة بدرجين صغيرين في وسط الغرفة وضعت منضدة للأكل

اصطفت حولها أربعة كراس ي و ألحقت بمزهرية في الوسط تحتوي على أزهار التيوليب البنفسجية

الجميلة...كانت هناك نافذة واحدة بالغرفة مطلة على شارع مزدحم بالسيارات و المارة مقابل لبناية أخرى تحمل نفس تصميم غرفة "وسام..."

عاد "رياض" بعد انتهائه من كوب قهوته و التطلع عبر النافذة للشارع خا رجا متسائلا عن صاحب الشقة المقابلة لشقتهم...ألقى بنفسه على السرير متأوها من آلام الظهر شاخصا في سقف الغرفة محاولا النوم قليلا حتىيحين عودة "وسام" من العمل متذكرا جو بلدته متخيلا وجه والدته مبتسما في حنان و ما كاد يغفو حتى انتفض على قرع عنيف للباب جعلت دمائه تجف في عروقه و تتجمد تعابير وجهه متذكرا الاستعمار ببلدته.

ابتلع "رياض" غصة الألم و مسح ملامح الهلع براحة يده و استغفر اللّه مرارا و

تكرارا و استجمع شتات قوته و ذهب متثاقلا نحو الباب...مدّ

يده ببطء أدار قبضته و فتح الباب إذ به يرى جسدا هزيلا للغاية يرتكز على عكاز يساعده على السير لا يكاد يحمل جسده...

كسا شعره شيبا أبيضا و لحيته البيضاء القصيرة تحيط بثغره و التي أكلت وجهه و حاجبين كثيفين أبيضين يغطيان عينيه الزرقاواتين الذابلتين الظاهرتان أسفل نظارات الطبية...دهش "رياض"

كيف لعجوز مثله أكله الدهر و نهشته السنين لا يستطيع رفع ذراعه...أن يملك كل هذهالقوة ليقرع هكذا كأنه كان يقرع بمطرقة و ليس بيد.

-أيها الولد غير المهذب...ألن تدعني أمرّ أم أنت غير لبق لتترك شيخا عج وزا مثلي على عتبة الباب؟...شباب اليوم عديمي الأخلاق.

تنحى "رياض" عن المدخل لكي يلج العجوز الهرم إلى الغرفة دون لفظ أي كلمة...دخل الشيخ و جلس على أول

كرسي واجهه و بقي "رياض" عند الباب يرمق الشيخ بنظرات متفحصة...لكن كل هذا تلاشى بضربة قوية على رأسه بواسطة عكاز العجوز جعلت منه يشعر بألم فظيع:

-ألن تجلب لي يا ولد عديم التهذيب كوب ماء أبل ريقي؟

تحمل "رياض" فظاظة العجوز الأجنبي و دخل المطبخ و جلب معه كوب ماء و قدمه له دون نبس أي كلمة غير نفث الهواء الحار من منخريه كثور غاضب:

-ألا ترى بأنه من قلة اللباقة أن تدخل منازل الآخرين و تطلق عليهم رشاشاً من الشتائم و فوق هذا تضربهم دون التعريف بنفسك أو احترام الشخص الواقف أمامك...و لبّي طلباتك وحدك إن كنت قد استطعت دخول المنزل هكذا دون إذن.

و لم ينهي جملته حتى تلقى الضربة الثانية و في نفس المكان و بنفس الوسيلة و لكن أوجع من سابقتها:

-و فوق هذا يا ولد قليل الحياء...تصرخ بوجه مسن مثلي و لكن اللّوم ليس عليك بل على العصر التافه الذي تعيشونه الآن.

أرغم العجوز "رياض" على تلبية طلباته كلها بل و جلس على الأرض يدلكقدميه المتشنجتين و فجأة فُتح الباب و ظهر ظّل "وسام" يحمل رزمة من الملفات الصفراء و ما إن رآه "رياض" حتى تهللت أساريره و انتفضمن مكانه لكن ضربة أخرى كسابقاتها أرغمته على العودة لمكانه:

-أكمل عملك يا ولد.

انفجر "وسام" ضاحكا على "رياض" و تقدم من المسن و قبّل جبينه:

-مرحبا جدّي "سان تياغو" ما أحوالك؟...أسبوعا لم أرى فيه محياك.

-هل هذا المسن جدك حقا؟...لكنه مكسيكي و أنت مصر ي.

-يا لا غباءك يا ولد...أيجب أن تربطنا علاقة دم ليناديني بجدّي؟...ألم أقل أنك قليل التهذيب.

-و لكني لم أعتد مناداة أناس صارمين مثلك بالألقاب كجدّي أو عمي...

-ببساطة لأنك قليل التهذيب.

-يكفي يا سيدي شتما فيّ.

-لا تنزعج يا "رياض" إن الجدّ "سان تياغو" هكذا سليط اللسان و حادّ الكلام و لكنه طيب القلب و سهل المعاشر و حنون القلب...لماذا لا تطيقان بعضكما البعض و أنتما لكما نفس الميول و نفس الشغفبالتحقيق.

قهقه العجوز بصوت جليّ ...باستهزاء:

-هل هذا الجرذ ينوي أن يكون محققا بارعاً؟و بدوره ضحك "رياض" راداً على كلام المسن:-و هل تعتقد بأن شخصا منتهي الصلاحية مثلك يصح لهأن يكون محققا...لقد أحببت نكتتك يا "وسام" كثيرا.

"-رياض" شاب يبدو في العشرينات من عمره فوق الخامسة

و العشرين و لم يتجاوز الثلاثين...لك طفولة قاسية و صعبة و حزينة بعض الش يء...تحب القراءة و مطالعة الكتب رغم ذلك لم تصبح كاتبا...لك والدة حنونة تحبك و أنت وحيدها...صحراوي الأصل و عربيّ النسب...تقوم بالأعمال الشاقة كالحفر و غيرها التي تتطلب الفأس...كما أنك إنسان غير منظم و غير مهتم لهندامك و تعيش في فوض ى عارمة.

انبهر "رياض" لهذا الكلام غير مصدق لكمّ الهائل من المعلومات التي يملكها هذا المسن:

-أيها العجوز كيف تعلم كل هذا؟...و من أنت بالضبط؟...و منذ متى تعرفني؟

-أعرفك منذ عشر دقائق فقط و هي كافية لأعلم عنك كل ما يهمني...ليست بالصعب.

-أرجوك سيدي أخبرني...كيف عرفت هذه المعلومات من النظر إلي فقط؟.

-هيأتك و خفة عقلك و عدم ثبوتك أخبرني بأنك في العقد الثاني رغم ذلك فملامحك الناضجة و صلابة عضلاتك فهذا يوحي بأنك تجاوزت السن الخامسة و العشرين...عشت طفولة قاسية و ضنكا و هذا راجع لعينيك التي تنطقان بالكثير و تسعيان للأكثر و ملاحظتي لجرح ذراعك أكد لي أنه يعود لطفولة عاشت الحرب أو عاشت المرّ فالجرح سببه رصاصة تركت أثرا قديما جدا...تحب القراءة و المطالعة و هذا لتضخم و انتفاخ تحت عينيك و ظهور هالات سوداء جراء السهر و بروز بعض التجاعيد الطفيفة أسفل العينين و بما انك تحب التحقيق فالأكيد انك تسهر على مطالعة الروايات البوليسية...أما عن كونك لست كاتبا و هذا لأني لم ألحظ أي نتوء أو جلد خشن على سبابتك و إصبعك الأوسط لا في يدك اليمنى و لا في اليسرى و هذا ما يسببه حمل القلم دوما بالنسبة

للكاتب...ستسألني ربما أستعمل الحواسيب لأرد عليك فهيأتك لا توحي بثرائك حتى تقتني آلة الكاتبة أو حاسوبا...أما عن والدتك الطيبة فهذا لأني أراك ولد مدلل رغم انه يصعب ملاحظة ذلك بالنسبة لأناس طبيعيين و هي مهتمة بك لملاحظة نظافة ثيابك و قميصك ناصع البياض و أزراره محكمة التثبيت فإن لم تكن متزوجا فهي الوالدة الفاضلة...و أنت من الصحراء كما تلاحظ يا ولدي بأننا في

مدينة و "أكسفورد" لا توجد بها رمال لكن دقة ملاحظتي أوصلتني إلى ذرّات رمل موجودة في ثنايا سروالك و اللّون البشرة السمراء القمحية كلها تدل بأنك صحراوي و لك وسامة عربية الأصل و هذا لأني اختلطت بالعرب كثيرا...أما عن أعمالك يا صغيري و هذا لأن راحة كفيك خشنة و أظافرك غليظة فهاته اليدين تعودان لعامل دائما ما يحمل مجرفا...و أخيرا رباط حذائك غير منظم و تبعثر

شعرك يدل على أنك إنسان مهمل لمظهره و غير مهتم بنفسه.

أنهى حديثه و "رياض" شارد الذهن غير مصدق أنه سيلتقي بشخصية واقعية تشبه الشخص الملاحظ و الذي يعرف المرء من نظرة خاطفة إنه ملهمه "شارلوك هولمز" كان يرمقه بنظرات إعجاب:

-أرجوك سيدي...علمني مما تملكه من خبرة في التحقيق...اقبلني تلميذا لديك.

نظر إليه "سان تياغو" مطولا متسائلا ما مدى رغبة "رياض" في دخول عالم المتحريين ثم ابتسم في حبور لرؤية شبابه واقف أمامه:

-يا لك من ولد متسرع و مغرور و لكني اعترف بشجاعتك و طموحك و مدى شغفك في التحقيق.

ثم انقلب من الجدّ المحقق و الحنون إلى ما كان عليهقبل قليل:

-و الآن قم من أمامي...سألقي بجسدي المهلك على ذلك السرير المريح.

-حسنا...أيها الجدّ قم...و استرح قليلا.

-أنت ولد متملق.

ابتسم "رياض" ثم تذكر الش يء الذي أمر به "وسام":

"-وسام"..هل جلبت ما طلبته؟

-أجل...لقد سمح لي المفتش "أرمسترونغ" بأخذ كل ما يتعلق بالقضية.

-هذا جيد و ممتع...حان الوقت لاختبار قدراتي.

نهض من على السرير و اتجه إلى الكرس ي أمام الطاولة

و أخذ الملفات يطّلع عليها بشغف و ما إن ينتهي من الأول حتى يباشر في الثاني و يدون كل ما يهم في دفتره الصغير جلبه له والده قبلا بمناسبة عيد ميلاده...كانت الملفات مرفقة بصور فوتوغرافية للجثث و مسا رح الجرائم و بعد ساعتين من انهماكه على الأوراق رفع رأسه و مطّ ذراعيه المتشنجتين و

نهض ليمرن ظهره المتقوس من كثرة الانحناء على الملفات...

المشهد الثاني

رجع بظهره إلى مسند الكرس ي و أطلق زفيرا حاراً:

-و أخيراً أنهيتها...إنها حقاً قضية جد معقدة.

-و لكن ماذا كنت تدوّن في ذاك الدفتر؟

-هذه القضية خطيرة و كبيرة جدا...نحن بصدد مجرم أو أكثر من ذلك...يتمتع بقدر كبير من الذكاء.

تململ المسن في فراشه ثم نهض متثاقلا و وجه بصره ل"رياض" بنظرات حادة واثقة:

-هلاّ سردت لي باختصار ما دونته في دفترك...أعلم أنك وجدت الكثير.

وقف "رياض" من على كرسيه و اتجه إلى السرير المقابل لسرير "سان تياغو" و بدأ يقرأ فيما دونه:

-حسنا...حصيلة الضحايا التي حدثت بسبب"ثعلب الصحراء" ستة جثث لرجال لم يكن من بينهم الجنس الآخر...الفترة الزمنية بين كل جريمة وأخرى مختلفة و لكنها لا تتجاوز يومين أو ثلاث أيام...كما أن الأماكن مختلفة فكل ضحية اكتشفت في مقر إقامتهم...في كراج السيارات...و في الحدائق الخلفية لمنازلهم...و في مسبح الفيلا أيضا..لم تكن لضحايا صلة قرابة أو علاقة عمل أو أي ارتباطات أخرى لكن هناك ش يء مشترك بين هاته الضحايا و في مسارح الجرائم المختلفة وجود ذرات رمل على كل جثة...على

حذاء الضحية...على الشعر...على الأظافر... و لهذا لقبه المفتشين و أطلق عليه الصحافة لقب "ثعلب الصحراء" ثعلب لدهائهالمفرط و مكره و تلاعبه بمسرح الجريمة عند انتهائه من الدلائل والصحراء لوجود الرمال في كل مسرح...

أما المعلومات الخاصة بضحايا هي كالأتي مرتبة حسب زمن وقوع الجريمة...

)الضحية الأولى "ماركو فلينتون " البالغ من العمر خمسة و أربعون سنة مدير مؤسسة تعليمية...لم تكن له سوابق عدلية أو أعداء عمل...رجلا نبيلا طيب خلق...وُجِدَ مقتولا في مكتبه أي في مؤسسة على الساعة

العاشرة ليلا مطعونا بسكينة حادة عريضة يستعملها الجزار لقطع الأماكن الغليظة من اللّحم...مابين السكين و الساطو ر...كانت ملامح وجهه هادئة "يريه صورة الجثة" و كأنه يغط في نوم عميق لا توجد أي تصلبات أو تشنجات

عضلية أو أي من التجاعيد الدالة على الصراخ أو الهلع أو حتى الدهشة...

أما عن تقرير الزمني للوفاة يقدر بخمس ساعات على الأقل قبل وقت اكتشاف الجثة بمعنى الجريمة وقعت على الساعة الخامسة

مساءً ...كما وُجِدَ في مكتبه ذرات الرمل على قفا رأس الضحية إلى جانب خصلة شعر سوداء طويلة لم يتعرفوا على الحمض النووي لأنها بالمختصر خصلة من شعر مستعار...أما بالنسبة لأقوال الشهود فقد كان كل من زوجته و ابنه و أخته معه يوم الحادثة على الساعة الرابعة مساءً أي قبل وقوع الجريمة بساعة من الزمن حول المائدة يحتسون

أكواب القهوة و يتسامرون حتى أتاه اتصال و ما إن لاحظ الاسم المضاء على شاشة الهاتف حتى ارتسمت ابتسامة غريبة على ثغره و غادر المكان دون أي كلمة و لم يعد بعدها إلى ساعة اكتشاف الجثة...و سبب الوفاة طعنة

غادرة على مستوى الظهر مات على إثرها بعدما نزف حتى الممات)

وضع "سان تياغو" يده على ذقنه يفكر:

-هذا جد مثير...ضحية بلا شهود ولا دلائل و وضعية الجثة المثيرة للريبة.

-أجل معك حق في ذلك...القضية التالية:

(الضحية الثانية "نيك آرثر" البالغ من العمر خمس و ثلاثون سنة أستاذ تعليم ثانو ي...شخص ودود و بشوش متزوج حديثا...زوجته حامل في الشهر الخامس...لم يكن له أعداء أو مشاكل مع الغير...من العمل إلى المنزل و العكس الصحيح...وُجِدَ مقتولا في كراج سيارته على الساعة سادسة صباحا يوم 21 يناير...آخر من رآه زوجته على الساعة الرابعة صباحا حيث اعتاد على الاستيقاظ باكرا و الذهاب لأداء تمارين

الرياضية الصباحية و من عادته أنه يعود على السادسة صباحا ليستحم ثم يغادر المنزل على السابعة لكنه لم يعد...

جاء البستاني صدفة ذلك اليوم باكرا للاعتناء بالحديقة المنزلية فسمع صوت محرك السيارة شغالا لكن كراج مظلم و مفتوح قليلا تقدم من كراج و ظل ينادي عليه "سيدي ...سيدي" بعد طول انتظار على أمل الردّ قرر الدخول ليرى ما لذي يحدث و ما إن فعل ذلك حتى صُدم من هول ما رأت عيناه...سيده ملقى على الأرضية فاغر الفم متصلب الجسد...اتصل برجال الشرطة لمعاينة المكان...كانت سبب الوفاة تناوله مادة سامة تستعمل لقتل الدبابير و تم حقنه على

مستوى الرقبة بمادة السيانيد البوتاسيوم..و طبعا وجدوا ذرات رمل على حذاءه...كانت تعابير الضحية متصلبة و متشنجة...قدّر طبيب الشرعي وقت الوفاة تقريبا ست ساعات من وقت اكتشاف الجثة..تميزت ملامح الضحية بوجود تجاعيد و انثناءات دليل على صراخ الضحية و تصلب عروق جسده و عضلاته.)

-هذه المرة استعمل القاتل السم لتنفيذ جريمته و هي سمسيانيد البوتاسيوم المشهور بين السموم بقوة فعاليته.

ردّ "وسام" على قول العجو ز:

-أجل كما كانت تعتمده الروائية "آغاثا كريستي" في معظم رواياتها.

-إنه سمٌ فعّال و قاتل تجده في أي منزل لقتل الدبابير.

أردف "رياض" قائلا:

-نأتي للضحية الثالثة:

"(جون ساوروا" البالغ من العمر ستة و ثلاثون سنة طبيب أسنان له عيادة خاصة به ذائع الصيت بعمله المتقن و النجاح طيب القلب حلو الطبع لا تعنيه مشاكل الناس أو أقاويلهم مطلّق له صبي صغير يعيش معجدته والدة"جو ن..."

وُجِدَ مقتولا في منزله و على سريره مشنوقا بحبل لم يجدوا أداة الج ريمة رغم وجود أثار الحبل على رقبته و بعض الخدوش أيضا

لأظافر...عثروا أيضا كالعادة على ذرات رمال متعلقة بسترته...كانت ملامح الضحية توحي بالانتحار...رغم علم رجال الشرطة بخلو حياته من المشاكل و فوق هذا ليس برجل اليائس حتى يقدم على إنهاءها...ولو انتحر لعثروا على الحبل معلقا في السقف أو بأي مكان بجانب الضحية...الغريب أنه اكتشف على سريره نائما و مغطى

بغطائه...كان تاريخ عثور على الجثة يوم 23 من يناير على الساعة العاشرة صباحا...كان على غير عادته فقد تأخر في النوم ذلك اليوم

أدى بصعود أحد الخادمات لإيقاظه و لتجده مقتولا لتسرع و تتصل برجال الشرطة.)

حك العجوز "سان تياغو" ذقنه بتفكير:

-أرى هناك اختلافا في أداة الجريمة في كل قضية و اختلاف في المكان أيضا.

-و فوق هذا وجود الرمل في مسارح الجرائم الثلاث.

ردّ عليه "رياض" بتفكير معمق في معطيات الجرائم:

-أنا أرى أن اللّغز يكمن في الشهود و في أوقات وقوع الجرائم...حسنا سأكمل البقية:

(الضحية الرابعة "مارتن كورتاز" اسباني و كاتب قصص الشهير و البالغ من العمر ستة و أربعون سنة...لا يختلط بالناس كثيرا حتى يكون له أعداء...عُثِرَ على جثته داخل سيارته المركونة أمام مكتبه الواقع بشارع ضيق جدا على

الساعة الواحدة ما بعد منتصف النهار...اكتشفه أحد المارة من الشارع في اليوم 27 يناير في نفس الشهر...حدد الطبيب الشرعي زمن الوفاة تقريبا الحادية عشر صباحا...

وكانت سبب الوفاة الاختناق حتى الموت و ذلك باستنشاقه لغاز ثنائي أكسيد الكربون المنبعث من سيارته...و لقد وجد المحققين شعرة سوداء على الكرس ي الأمامي للسيارة كما عثروا

كالعادة على رمال في ثنايا بنطال الضحية.)

يتبع كلامه موضحا بقية الجرائم:

(الضحية الخامسة "ماريو ولسو ن" مساعد مخرج مسارح البالغ من العمر ثماني و ثلاثين سنة متزوج و لديه ابنة صغيرة...وُجِدَ مقتولا فيالحديقة الخلفية لمنزله جالس على كرسيه محقون بإبرة هواء على مستوى الرقبة...كان ذلك يوم الثاني من فبراير على الساعة الثالثة مساءً و اكتشفت جثته بعد أربع ساعات من ساعة الوفاة من طرف خادم المنز ل...وجدوا ذرات الرمل لا تكاد تذكر على مستوى الكتف والظهر للضحية و عدم عثورهم على أداة الجريمة.)

(الضحية السادسة و الأخيرة "توماس نايف" البالغ من العمر ثمانية و أربعون سنة مدير مؤسسة تجارية للأقمشة مشهور بطباعه الحسنة و أخلاقه الراقية،عُثِرَ على جثته ملقاة في مسبح منزله مذبوحا لكن

المفاجأة لم يجدوا أي دماء مختلطة مع الماء و كأن الضحيةلا تملك دما وجدوا رمال على حافة المسبح ولا وجودلأداة الجريمة، كان ذلك يوم السادس من فبراير على الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، تم اكتشافه من طرف زوجته بعدما كانت تنتظره لتأخر بالعودةإلى المنزل على غير عادته.)

يغلق "رياض" دفتره و يعود بظهره إلى الخلف قليلا مستندا على كلتا ذراعيه بالخلف مطلقا صفيرا طويلا:

-هذا كل ش يء فيما يخص القضية رفقة الصو رالفوتوغرافية لضحايا و مسارح الجرائم، بالنسبة لي لاأرى أن الأدلة الكافية لتقربنا من "ثعلب الصحراء" سوى ش يء مشترك بين الضحايا و هو الرمل..فهي علامته المميزة...أم هناك سر وراء هذا الرمل؟

-أتفق معك في ذلك...أنا لا أرى التعقيد في الأدلة أو طريقة القتل و إنما في تلاعب بتصريحات الشهود و الرمال الموجودة بالمسارح.

ردّ عليه "رياض":

-ليس هذا فقط...أجد أن القاتل سريع التنفيذ...فبين كل جريمة و الأخرى وقت ليس بطويل يوم أو يومان...كيف استطاع أن ينتقل من مدينة لأخرى بهذا الزمن القصير.

يجيبه "وسام":

-معك حق في ذلك...ربما كانت شبكة إجرامية و ليس قاتلا واحداً.

-أو مجموعة قتلى لا تربطهم أي صلة.

-كيف ذلك؟

-لا أدري يا "وسام" هذا مجرد رأي فقط.

عندها قام "سان تياغو" من على فراشه و حمل عكازه متوجها نحو الباب:

-لقد أثارت فضولي هاته القضية و سأجد حلها و أمسك ب"ثعلب الصحراء" هذا.

-ألا ترى بأني المكلف بهذه القضية و من الطبيعي أن أقوم بحلها.

صدر حلّ يرض ي الطرفين من طرف "وسام":

-ما رأيكما أن تتنافسا في حلّ هذه القضية من يجد "ثعلب الصحراء" يكون له لقب "المتحري الذكي" هه...ماذا تقولان؟

أومأ "سان تياغو" بالإيجاب و علت نظرة القبول على وجه "رياض. "

غادر العجوز الشقة و ترك "رياض" و "وسام" جالسين:

-ماذا سنفعل الآن يا "رياض" ؟

ردّ عليه و بينما يرتدي ملابسه هو الآخر مستعدا للخروج:

-أنا ذاهب للبحث.

-هل ستبدأ في التحقيق بهذا الوقت المتأخر من الليل؟

-طبعا لا...خارج لجلب ش يء نأكله أشعر بالجوع فقط.

نهاية الفصل



الفصل الثالث

المشهد الاول



يفتح "وسام" عيناه متثاقلا و مطّ شفتيه بانزعاج:

-لماذا لم توقظني لنفطر سوياً؟

ضحك "رياض" و الذي كان يرتدي معطفه مستعدا للمغادرة:

-ليس من عادتي تناول الإفطار يكفيني كوب قهوة حارة فقط.

-و إلى أين أنت ذاهب؟

-ستبدأ محطتي الآن بالتحقيق في هاته القضية.

ثم أردف قائلا:

-هل تود مرافقتي؟

ينفجر "وسام" ضحكا:

-ههههههههه أنت حقا تشبه الأولاد في التفكير.

-هيا هيا كفاك استهزاءً.

خرجا و صوت ضحكاتهم يتعالى بشارع متجهين إلى أول مكان ليباشرا التحقيق، ركبا سيارة الأجرة بعدما قدم "رياض"

عنوان لسائق أول محطة لهما و بعد مض ي نصف ساعة وصلا إلى منزل ليس بالكبير جدا ولا الصغير يوحي نوعا ما بثراء العائلة، نزلا أمام المنزل بعدما سارت السيارة و تركتهما واقفين أمام الباب:

-لماذا نحن هنا؟

-إنه لسيد "ماركو فلينتو ن" الضحية الأولى، جلبتالعنوان معي من ملف الجريمة الخاصة به.

-آه..فهمت...و لكن ما سبب وجودنا هنا بالضبط؟

-إن واجهت يوما قضية ما...عليك بأول خطوة يا عزيزي "وسام" و هي أن تقوم بجمع المشتبه بهم أولاً و لمّ الكم الهائل من الأقوال الخاصة بالشهود لأن معظم الأدلة و الحلول بأقوالهم...هل فهمت؟

-أعتقد بأني بدأت في التفكير مثلك...هيا بنا إذن.

تقدم الشابين من باب المنزل و دق "وسام" الجرس و بعد عدة ثواني فُ تِح الباب و خرجت فتاة جميلة للغاية ذات عيون زرقاء كزرقة السماء المنعكسة على صفحة البحر الساحرة، و شعر ذهبي اللّون كسبائك الذهب منسدل على كتفها كأمواج رمال الصحراء الصفراء، تبسمت لضيوفها بتلك الابتسامة البريئة التي أذابت قلب "وسام":

-أهلا و سهلا بضيوفنا الكرام...كيف أخدمكما؟

-مرحبا آنستي...أنا "رياض عبد العزيز" مكلف بتحقيق في قضية مقتل السيد "ماركو فلينتو ن" و هذا مساعدي "وسام شرقاو ي"...هل يمكننا الدخول من فضلك؟

تنحت الفتاة جانبا تدعوهما للدخو ل:

-تفضلا من هنا من فضلكما.

تقدم كل من "رياض" و "وسام" إلى ساحة وسط ذلك المنزل مزودة بأثاث راقي و كلاسيكي الطراز.

جلس الشابين على الأريكة حيث أشارت لهما الفتاة و أكواب القهوة

الساخنة موضوعة أمامهما، ظهرت الفتاة رفقة امرأة في الثلاثين من عمرها و بعد التحية:

-أنا السيدة "لارا فلينتو ن" زوجة الضحية "ماركو فلينتو ن" و هذه شقيقة زوجي "أليس فلينتو ن..."

ماذا تريدان؟ لقد كنت معتقدة بأن القضية قد أغلقت.

-القضية لن تغلق الآن ما لم نجد القاتل.

ردّت "أليس فلينتو ن" على "رياض:"

-قاتل؟؟...كلنا على علم أن "ثعلب الصحراء"هو القاتل...فلما جئت إلى هنا؟

-أتيت إلى هنا أستمع لأقوالكم، و أعلم أنكما قمتما بإدلائها أمام رجال الشرطة و لكني أريد سماعها منكما مجدداً.

-نحن في خدمتك أيها السيد.

بدأ "رياض" في توجيه أسئلته لكل من السيدتين:

-هل كان لزوجك أعداء عمل أو أي مشاكل مع أحدهم؟

-كان زوجي أستاذاً في الجامعة ثم انتقل بعدها إلى منصب مدير مؤسسة تعليمية... قضا حياته كلها في عمله لم يكن ممن يحبون العلاقات الاجتماعية أو الاختلاط بالناس لذا لم يخلق أي من الصداقات أو أعداء.

-متى رأيته آخر مرّة قبل مقتله طبعا؟

-كان من عادته أن يعود باكرا على الساعة السادسة مساءً كل يوم بعد

إنهاءه عمله لكنه اتصل يومها بي قبل ذلك و أعلمني بأنه سيتأخر لكني لم أعلم أنه سيتأخر لهذه الدرجة.

و تنهمر دموعها حرقة على فقدان زوجها.

-أتفهم موقفك سيدتي..لكني أتمنى منكِ أن تتمالكي نفسك و لا تغفلي على أي نقطة...تذكري كم كانت الساعة آنذاك عندما اتصل بك؟

-كانت الخامسة أو تجاوزت بقليل لأني معتادةعلى مشاهدة مسلسل يبدأ عرضه على الخامسة كلمساء لكنه اتصل بعده بقليل تقريبا بعد نصف ساعةأو أقل من ذلك.

أطرق "رياض" رأسه مفكرا...لكن "وسام":

-ماذا؟؟؟...ألم يحدد الطبيب الشرعي زمن الوفاة؟

قاطعه "رياض" بإشارة منه لكي يصمت و لا يدلي بما يملكه من معلومات:

-هل لك أن تذكري يا سيدتي ما قاله لك عبر الهاتف؟

-حسنا..."أنا آسف يا عزيزتي سأتأخر الليلة لضرورة العمل فلا داعي لانتظاري" هذا ما أذكره تقريبا.

-أهذه أول مرة يتأخر فيها و يتصل بك ليعلمك عن تأخره؟

-لم تكن الأولى..كان ذلك قبل شهر تقريبا تأخر أيضا و اتصل بي وقتها.

-ألم تلاحظي أي تغيّرات على تصرفات زوجك في الآونة الأخيرة؟

-لا..لم ألاحظ أي نوع من التصرفات الخارجة عن عادته...كان جد طبيعي.

يلتفت بوجهه ل "أليس":

-سأوجه إليك بعض الأسئلة يا آنسة "أليس"...ألم يخبرك شقيقك عن أي شيء قد حدث له في الآونة الأخيرة أو قد التقى بأشخاص جدد؟

-لا لم يخبرني و لم أكن مقربة منه ليحكي لي عن حياته اليومية فمن طبع شقيقي الكتمان و عدم مشاركة أسراره مع أي أحد.

-ألم تلاحظي شيئا غريبا حدث وقتها؟...حاولي التذكر أي شيء.

-سأحاول التذكر...أعتقد بأنه أمر عادي و لا يستحق الذكر...ففي اليوم الذي حدثت فيه الجريمة على الساعة العاشرة صباحا رآه صديقي مع امرأة في سيارته و قد بدا عليهما الشجار.

-ألم تطلبي منه وصفها لك؟...أو من الممكن أنك تعرفينها.

-لا لم أعرفها..فقد وصفها لي..لكني لم أقابل في حياتي امرأة بمواصفاتها.

-هل لك أن تقومي بوصفها لي؟

-كانت امرأة في العقد الثالث ذات بشرة بيضاء و شعر أسود طويل زرقاء العينين.

-سيدة "فلينتو ن" ألم تعرفي هذه المرأة؟

ظهر الاضطراب عليها و ابتلعت ريقها و مسكت بيدها ذراعها المرتعش وكأنها تنفي الأمر:

-لا...لا أعتقد أني قد رأيتها قبلا.

لاحظ "رياض" التوتر السادي على السيدة "فلينتو ن":

-هلاّ زودتني يا سيدة "فلينتو ن" بلائحة أسماء أصدقاء الضحية زوجك سواء بالعمل أو خارجه.

-ليس هناك مشكل...سأدونها لك على الفو ر.

وقف "رياض" و "وسام" للمغادرة و قامت معهما السيدتين:

-أرجو منك يا سيدة "فلينتو ن" أن تسمحي لي برؤية مكتب زوجك "ماركو."

-طبعا...تفضلا من هنا لو سمحتما.

قادت الشابين إلى غرفة منزوية عن المنزل تتصف بالهدوءو السكون فتحت السيدة لهما باب المكتب و دخلا إليه وأغلقت خلفهما بعدما طالب "رياض" ببعض الخصوصية،سار "رياض" عاقدا ذراعيه للخلف منحني الظهر للأمام قليلابعينين ضيقتين باحثتين عن أي ش يء غير مرئي بالنسبة لأي إنسان طبيعي، وقف "وسام" يرصد حركات "رياض"في وجس متسائلا عما يبحث عنه:

-قل لي يا "رياض"...هل وجدت شيئا بعد استجوابك للسيدتين؟ردّ "رياض" على جملته و هو جالس على الكرس ي أمام المكتب:-لا تستبق الأمور يا صديقي... سيُكشف كل ش يء في أوانه...و سنبحث بترو تام.

-و لكني لا أفهم...لما أشرت لي بصمت حين أبديت رأيي عن زمن وفاة الضحية؟

-أعلم أنك تفطنت لقول السيدة "فلينتو ن"، كيف لطبيب شرعي أن يخطأ في تقدير زمن الوفاة...و الذي حدده في تقريره...كان وقت وقوع الجريمة هو الساعة الخامسة مساءً و لكن السيدة "فلينتو ن" أخبرتنا بأنه

اتصل بها على تمام الخامسة و النصف...فكيف يعقل هذا؟..يا صاحبيلا تبح يوماً بما تملكه من دلائل و معلومات أمام المشتبه به في أيقضية لكي لا يجد كذبة يهرب بها... يعتبر المجرم أذكى من المتحر ي..فهو الذي يضع اللّغز و المحقق يقوم بحله..فمن الأذكى هنا برأيك؟...

تغابى مع المتهم و ارسم له متاهة يغوص فيها.

-أممم...لقد فهمت ذلك...و الآن أخبرني عما تبحثه؟

-لا أعرف بالضبط عما أبحث..و لكن حتما سأجد شيئا...فمهما بلغ ذكاء ودهاء المجرم فالأكيد سيترك وراءه ثغرة بحجم مثقال حبة خردل تاهت عليه.

بينما هو يلقي كلامه كان يحوم داخل المكان يتفرّس كل ش يء بعينيهالراصدة، مرّر أنامله القاسية على حافة المكتب و فجأة سقط ظرف أصفر على الأرضية، انحنى "رياض" لحمله و اشتم الرائحة المنبعثة منه:

-عطر نسائي؟؟...عطر مستخلص من زهرة الياسمين.

قلّبه من كلا الجهتين فلم يكن هناك أي عنوان للمُرسَل إليه أو المُ رسِل

فتح الظرف و بدأ يقرأ ما بداخله و بعد انتهائه منها أرجعها في الظرف ووضعه في

جيبه و ارتسمت بسمة على ثغره، كل هذا وقع تحت ناظر "وسام" الصامت:

-ماذا يوجد بالظرف يا "رياض"؟

-مازال على البوح بالاستنتاجات...لا تستعجل في معرفة حوصلة الموضوع يا "وسام."

-حسنا...لنتوجه إلى مسرح الجريمة علنا نجد ما يفيدنا هناك.

خرجا من المكتب بعد توديعهما للسيدتين و طلبا سيارة أجرى متجهين لغايتهم.

المشهد الثاني

و من جهة أخرى كان العجوز "سان تياغو" في منزل الضحية الثانية السيد"نيك آرثر"، دق باب المنزل مطولا ولم تكن هناك استجابة، قرّر دخوله بطريقة غير قانونية فحام حوله علّه يجد مدخل يتسع

لجسده، لكن محاولته باءت بالفشل...وقف أما كراج السيارة لذلك

المنزل و حاول رفعه دون جدوى كان مغلقا إضافة إلى جسده الهزيل لا يقوى على ذلك...نزع نظارته الطبية و فكّ أحد حمّالاتها و أدخلها فيثقب كراج و حاول فتحه ...انتظر أقل من ثانية حتى سمع صوت انفتاح القفل أعاد الدبوس لنظّارته و ارتداها...و رفع كراج السيارة بجهد مبذول نصف ارتفاعه و دخل من الأسفل

أشعل مصباحه اليدوي و الذي يحمله معه دوما و بدأ في عملية التفتيش...كان المكان محاط بأشرطة صفراء وضعتها الشرطة لمنع أي تدخل خارجي لإفساد مسرح الجريمة و رُسِمَ على الأرضية باللّون الأبيض وضعية التي كانت عليها الجثة، كان العجوز منكب على الأرضو كأنه يقوم بشمها، و فجأة وجد تحت طاولة الموضوعة على ركن كراج و التي توضع فوقها الأشياء المتعلقة بأجهزة صيانة السيارات دنا منه "سان تياغو" و التقطه بملقط كان معه دوما رفقة مستلزمات يحتاجها في التحقيق:

-عدسة لاصقة باللون الأخضر؟؟...لمن يا ترى؟...و لماذا هي هنا في هذا المكان؟...

أهي نسائية أم تعود للضحية؟

انحنى "سان تياغو" أكثر ليرى تحت السيارة إذ به يلمح خيطا ملتصق بأسفلها...مدّ يده لالتقاطه لكنه لم يستطع فاستعان بعكازه لسحبه:

-نبات بحري جاف؟؟...هذا ليس خيطا..أظنه طحلبا...و لكن من أين جاء؟...أعتقد بأنه موجودا منذ يوم اكتشاف الجثة و هذا لتيبسه واصفرار لونه...هل زار السيد"نيك آرثر" الشاطئ آخر مرة؟؟...إذا فرضنا أن زيارته إلى هناك صحيحة..أليست بالمسافة البعيدة لكي يذهب صباحاً و يعود بهذه السرعة...هناك لغز في ذلك.

لم يكمل كلامه حتى انتفض على صوت رجل من وراءه:

-ماذا تظن بنفسك فاعلا؟

-آه...أنا شرطي فقد كُلفت بالبحث في قضية مقتل السيد "نيك آرثر" وجئت

هنا للبحث في مسرح الجريمة...فهل تعرّفني بنفسك؟-أرني شارة الشرطة أيها العجوز؟

يخرج "سان تياغو" من جيبه شارة يريها له بخفة و يرجعها مكانها:

-أنت تقوم بعرقلة عملي يا سيد...)بداخله(لو لم أتعلم هذه الحركة لقض يعليّ.

_حسنا...أنا البستانيّ لهذه العائلة..بدأت عملي هنا قبل سنتين.

-إذاً أنت هو مكتشف الجثة؟

-أجل...كان ذلك على الساعة السادسة صباحاً وجدته مرميا هنا دون حركة.

-ألا تذكر أي ش يء بخصوص تلك الليلة؟

-لا لم يكن هنا ش يء يوحي بالغرابة فقبل أن آوي إلى فراش ي تأكدت من إغلاق الأبواب و تقديم الخادمة الدواء للسيدة "آرثر."

-ما نوع الدواء الذي تتناوله السيدة "آرثر"؟

-إنه عبارة عن دواء منوم و مهدئ يساعدها على التخلص من التوتر والأرق.

-ما هو الوقت الذي تغلق فيه الأبواب؟

-آخر وقت قد أغلق فيه الأبواب على الأكثر العاشرة ليلاً لأن السيد يع ود في وقت مبكر كل ليلة و لا يخرج بعدها إلا على الساعة الرابعة صباحا...لكن في تلك الليلة كانت أقصر ليلة مرت بي فلم أكد أغفو حتى استيقظ السيد "آرثر" على الرابعة كعادته.

-و كيف علمت بالوقت؟

-لأن سيدي يقوم دوما بضبط المنبه على الرابعة فجرا كل ليلة و هكذا نستيقظ جميعا لخدمته.

-و لما المنزل خال الآن؟

-السيدة "آرثر" في المستشفى لأن حالتها صعبة بعد ما حدث لسيد "آرثر" أما الخادمة فقد غادرت فما من جدوى من بقاءها...و أنا مازلت أعتني بالحديقة حتى عودة السيدة.

-هلاّ فتحت لي باب المنزل لكي أكمل عملي و أعود باكرا فربما يغضب سيدي المفتش من تأخري.

-حسنا...و لكن لا تتأخر أنا أرجوك فلديّ عمل عليا القيام به.

دخل "سان تياغو" المنزل و صعد السلالم المؤدية إلى الدور الثاني و في منتصف صعوده لمح ساعة الكبيرة المعلقة على الجدار و تمعن فيها ونظر لساعة التي يحملها في جيبه.

-إن الوقت غير مضبوط بدقة فالساعة الآن تشير إلى الحادية عشرا..و لكن ساعة هذا المنزل تشير إلى الثامنة صباحا.

-هذا لأنها قديمة الطراز و أحيانا تتقدم و تتأخر في الوقت إنها شبه معطلة.

أكمل العجوز صعوده متجه لغرف النوم تحديدا إلى غرفة نوم الضحية فتح الباب و دخل ليجدها شاسعة جدا ذات طراز انجليزي بحت بأثاثه الراقي و تصميمه التقليدي المبهر...اتجه نحو

أدراج التسريحة الموجودة بجانب السرير و قام بفتحه...عثر على قارورة دواء المنوم فتحها و أف رغ محتواها في راحة يده فوجد بين حبات الدواء و من بينهم نصف حبة وعندها سأل البستانيّ:

-أتعلم كم حبة تتناولها السيدة "آرثر" كل ليلة؟

-أظنها حبتين على ما أعتقد..فقد سمعت ذات مرة الخادمة تتفوه بذلك.-سأغادر الآن فلقد تأخرت أكثر مما توقعت.

غادر "سان تياغو" منزل الضحية متجها إلى منزل الضحية الثالثة "جون ساوروا..."

المشهد الثاني

و من جهة أخرى وصل "رياض" و "وسام" إلى المؤسسة التعليمية التي حدثت فيها الجريمة...دخلا إليها على هيئة عمال نظافة فقد كان

"وسام" خبيرا في فن التنكر و ساعد المفتش "أرمسترونغ" في العديد من التحقيقات التي تتطلب تنكرا كاقتحام مكان أو نيل من شخصية ما وتلفيق قضية...ذاع صيته في "أكسفورد" بالرجل المسارح كان فنه لا يخطأ أبدا خال من الشوائب...تسللا إلى المكتب أي إلى مسرح الجريمة و الذي قام رجال الشرطة بتشميعه:

-أغلق الباب يا "وسام"...)ثم يدنو من موضع الجثة(غريب أن يقتل السيد "ماركو" هنا بسكين و لا نجد أي أثر للدماء على الكرس ي ولا على الأرضية ولا على أي مكان من المكتب، فكيف تفسر ذلك؟

-ربما قام القاتل بتنظيف المكان بعد ارتكابه للجريمة؟

-ولما يفعل ذلك بالأصل؟...هناك تناقض في الموضوع..كيف يقوم بتنظيف المكان من آثار الدماء و يغفل عن التخلص من أداة الجريمة...أغبي هو أم هناك أمر خفي وراء عدم وجود الدماء؟؟.

-و لكني يا "رياض" لا أرى أي ش يء يدّل على العنف أو الشجار أو آثار المقاومة..فكل ش يء منظم.

-فما قولك في ذلك؟

-هل تعتقد بأن الضحية على معرفة بالقاتل..لذا لم يصدر منه أي مقاومة فغُدِر.

-هذا تفسير قريب من المعقول، القاتل باغت الضحية و غرز سكينته علىمستوى ظهر الضحية.

-و لهذا نجد ملامح الضحية مسالمة و لا وجود لتعابير الفزع و الهلع.كان "رياض" يتحدث و يحوم حول المكتب...انحنى أسفله و وجد زراً أبيضا لقميص رجالي وضعه في جيبه و فتش بين أوراق

الضحية فعثر على قصاصة ورق قد مزقت كُتِبَ عليها حروف بالإنجليزية S : J

-تبدو هذه الورقة قد مُزقت تماما..لكن أحدهم أخذ بقية الورقة و لم ينتبه لهذه القصاصة..و لكن ما تعنيه هذه الأحرف.

-أيمكن أن تكون اختصارا لاسم معين؟

-معك حق في ذلك...فهذه النوعية من الورق تستعمل لكتابة عقود عمل مثلا و هذا الجزء على الأرجح مكانه الأصلي أسفل الورقة إذاً هذه الحروف اختصار لاسم شخص تعرفه الضحية لذا حاول يا "وسام" البحث في سجل ملاحظاته عن أي اسم يحمل الحرفين.

بدأ "وسام" في البحث و كان "رياض" جالسا على الأريكة بعيون ثابتة ومركزة و بداخله يدرس تفاصيل الجريمة و يربط أحداثها و يحاول حل حبكة التي نسجها القاتل:

-لقد حدد الطبيب الشرعي زمن الوفاة على الساعة الخامسة مساءً و لكن

زوجته حرّفت تقريره بقولها أن زوجها اتصل بها على الساعة الخامسة و النصف لهذه المسألة احتمالين: أول احتمال وقوع الطبيب الشرعي في خطأ تقدير زمن الوفاة و هذا وارد في كل جريمة ولا يجب أن نحكم على تقديره بضبط أما الاحتمال الثاني أن زوجة الضحية أخطأت في وقت الاتصال...و ليس هذا الغريب فقط في القضية..فملامح زوجته تغيرت حين سألتها عن حقيقة معرفتها بالمرأة التي

كانت مع زوجها يوم وقوع الجريمة..أنا متأكد من معرفتها لها...فمن تكون تلك السيدة الدخيلة في القضية؟...و الرسالة الغرامية التي وجدتها اليوم في مكتب الضحية بالمنزل، فمن مرسلها؟؟ و ما قصة زر القميص الرجالي الذي عثرت عليه الآن في مسرح الجريمة؟؟...هل هو للضحية أم للقاتل؟...و الش يء الأهم في هذه القضية وجود الرمل على قفا رأس الضحية...و لماذا لم يجد رجال الشرطة

آثار الدماء في مسرح الجريمة؟؟..علماً أن الضحية طُعِنَت و الأكيد أنها نزفت حتى الموت..

فأين آثار الدماء؟...فلو فرضنا أن القاتل نظف آثار الدم فالأكيد رجالالشرطة سيستعملون محلول "اللومينو ل" و الذي يستعمل في مجال الطب الشرعي و علم الجنايات للكشف عن آثار الدماء الخفيفة غير الظاهرة التي تمت إزالتها من مسرح الجريمة بحيث يظهر توهجا ذو اللون الأزرق في الحالة الإيجابية لكن لم يكن هناك أي أثر للدم ...المعنى من ذلك أن القاتل لم يقم بمسح آثار الدماء...فلا وجود لها هنا بالأصل...السر يكمن في حبات الرمل وانعدام بقع الدم على مسرح الجريمة.

يوجه كلامه ل"وسام:"

-هل عثرت على ما طلبته منك؟

-ليس بعد..)و ما كاد ينهي جملته(...لحظة أظنني وجدت اسما يحمل الحرفين الذين عثرت عليهما..."ساني جيمس."

قام من على الأريكة و يتجه للخروج:

-وجهتنا القادمة ستكون نحو "ساني جيمس."

-ألن نذهب لتناول الغداء..أنا أتضور جوعا؟

-هيا كفاك دلالا و سنتناوله في الطريق.

ركب العجوز "سان تياغو" سيارة الأجرة متجها نحو منزل الضحية الثالثة "جون ساوروا"

و بداخله يعيد ترتيب الحادثة:

-هناك ش يء مريب في منزل السيد "نيك آرثر" أولا عثوري على أحد زوج عدسات اللاصقة خضراء اللّو ن...فما هو سبب وجودها في كراج السيارة؟؟، لو كانت تعود لضحية للذُكِرَ في ملفه...إذا ليست للسيد "نيك آرثر" و ليست لزوجته و هذا لأنها تعاني من حساسية ضد مستحضرات الكيميائية لأني قرأت ذلك في وصفة الطبية

الخاصة بها الموجودة في أحد أدراجها و ليست للبستانيّ لكبر سنه و لن يهتم لمظهره...بقي شخصين على أكثر احتمال..القاتل و الخادمة التي لم أجدها في منزل الضحية و طبعا لن تسلم من استجوابي..نأتي

للطحلب المتيبس الذي عثرت عليه أسفل سيارة الضحية و أعتقد بأن رجال الشرطة لم يهتموا لأمره و أعتقد أيضا أن تيبسه

و تغير لونه للأصفر يدّل على المدة الزمنية التي مكثها خارج الماء و على أقل تقدير شهر أي ليلة وقوع الحادثة حيث تعلق أسفل السيارة...يؤكد استنتاجي على زيارة الضحية للبحر ليلتها إنها نقطة مهمة في

القضية...كما أني أستغرب الوقت المتغير في منزل الضحية..أجده أمراغريبا رغم أن البستاني أكد لي عطل الساعة...و رغم عدم تفطن رجال الشرطة بالمنبه الموضوع بجانب سرير

الضحية فقد لاحظت أنه مقدم بثلاث ساعات...و منه نستنتج أن الساعات الموجودة في المنزل كلها مقدمة بثلاث ساعات عن الوقت الحقيقي ليست صدفة...نصف حبة

دواء المنوم و التي عثرت عليها في قارورة دواء زوجة الضحية...من عادتهاتناول حبتين على قول البستانيّ فلما وجدت نصفا زائداً و أين النصف الآخر...)يوجه كلامه للسائق:)

-أرجوك عدّ من فضلك من حيث جئنا.

عادت السيارة باتجاه منزل "نيك آرثر" و تعابير "سان تياغو" تخبر الكثير متقلص المقلتين و زاغ نظره و ابتلع ريقه بصعوبة.



المشهد الثالث

تناول "رياض" و "وسام" الغداء و تنقلوا بعدها إلى مبنى كُتِبَ على ال لائحة المعلقة عليه "المحامية ساني جيمس"...صعدا درجات السلم و رنّ "وسام" الجرس..بعد برهة فتحت لهما السكرتيرة:

-مرحبا أنا الشرطي "رياض" و هذا صديقي "وسام" جئنا لنتحدث مع المحامية "ساني جيمس" هل هي هنا؟

-تفضلا من هنا..إنها في المكتب سأستأذنها أولا.

جلسا في قاعة الانتظار ريثما تتحدث السكرتيرة للمحامية و بعد وهلة عادت من داخل المكتب:

-تفضلا..إنها بانتظاركما.

دخلا معا المكتب و أغلق "وسام" الباب خلفه و ما إن استدار حتى رأى "رياض" متجمد في مكانه متجهم الوجه توجه بعينيه نحو مرأى

"رياض" ليصدم هو الآخر لتلك المحامية:

-أنتِ ...؟؟؟

-مرحبا بكما...لقد أخبرتني السكرتيرة بأنكما شرطيان...تفضلا بالجلوس.

-مرحبا يا سيدة "جيمس" أنا المحقق "رياض عبد العزيز" و هذا صديقي ومساعدي "وسام الشرقاو ي" جئنا بخصوص مقتل "ماركو فلينتو ن."

-تفضلا أرجوكما بالجلوس.. و سنتحدث بروية...ماذا تشربان؟

-قهوة من فضلك.

نقرت المحامية على أزرار الهاتف و طلبت ثلاث أكواب قهوة ساخنة...تلتفت إليهما:

-تفضل يا سيد "رياض"..ماذا تريد معرفته مني؟

-حسنا ...هناك شخص رآك مع الضحية في السيارة يوم الحادثة...هل حضرتك هي تلك السيدة أم أننا اشتبهنا بك؟

-أجل...كنت معه يومها.

-متى و أنت محامية "ماركو فلينتون "؟...أو بالأحرى منذ متى و أنت تعملينمعه؟

-بعد تولي السيد "ماركو فلينتو ن" منصب المدير...قرّر أن يكون له محاميا خاصا به..و بحكم الصداقة التي تجمعنا منذ أيام الثانوية أوكلني بذلك و كنت مسئولة عن قضاياه ككتابة عقود عقارات، عقود عمل، و وصيته أيضا...

فقبل مقتله بأسبوع واحد..أراد تغييرها رغم عدم تأكده من قراره و لكن يوم الحادثة اتصل بي و طلب مني لقاءه في سيارته و طلب تغيير محتوى الوصية و كتابة جميع أملاكه مناصفة بين ابنه و زوجته وامرأة أخر ى...فكان هذا سبب شجاري معه..لأنه لم يترك لشقيقته أي فلس أو أي عقار..بحكم أنها صديقتي و دافعت عنها بصفة صديقة لا محامية...و لكن هيهات لشخص عنيد ك "ماركو" و رضخت لأمره.

-ما كان محتوى الوصية الأولى؟..أعلم أن هذا غير قانوني..و لكنه سيفيد قضيتنا لو سمحت.

-كان قد كتب نصف لابنه و نصف الباقي قسم على نصفين لزوجته وشقيقته.

-و لماذا أراد تغيير الوصية...هل كان على علاقة غير طيبة مع شقيقته الآنسة "أليس"؟

-لا لم يكن كذلك ...بل كان يحبها و كأنه والدها و هي تبادله نفس المشاعر.

-و من تكون تلك المرأة الدخيلة في الوصية؟

-لا لم أعرفها من تكون رغم علمي باسمها "جيسيكا لادو ر" و لم أرها قط فقد سمعت بهذا الاسم يوم الحادثة و يوم إلقاء الوصية أتت موكلتهافقط.

-هل تعرفها زوجة الضحية و الآنسة "أليس"؟

-لا لم يكونوا على علم بها إلا يوم قراءة الوصية علموا باسمها عندما أتت موكلتها ...فقد حدث يومها شجار كبير.

-ماذا حدث؟

-عندما اجتمعنا...ابن السيد "ماركو" زوجته السيدة "فلينتو ن" و شقيقته الآنسة "أليس" و موكلة "جيسيكا لادو ر" لقراءة الوصية و عند انتهائيمن قراءتها

صدمت العائلة بالخبر و من تكون تلك المرأة و بعد انسحاب موكلتها ومغادرة المكان قبل دخولهم في شجار كبير...و لكن الأمر الغريب هو صراخ شقيقته آنسة "أليس" قائلة 'تلك اللعينة بعيدة

و أخذت كل ش يء' حينها لم أعرها بالا أو أي اهتمام...و بعد عودتي تذكرت ما حدث وجدت بأن "أليس" تعلم من تكون تلك المرأة.

-و منذ متى و أنت صديقة شقيقته "أليس"؟

-منذ حوالي ستة أشهر تعرفت عليها بعد عودتها من فرنسا...كانت تدرس هناك.

-هلاّ أعطيتني من فضلك اسم الجامعة التي كانت تدرس بها شقيقة الضحية؟

-نعم بكل سرور سأدونها لك في ورقة.

-شكرا يا سيدة "جيمس" على المعلومات القيمة التي مدتنا بها..هيا بنا يا "وسام."

خرجا من هناك يحملان ورقة بها اسم الجامعة التي درست بها الآنسة "أليس" و عنوان الهاتف.

-اذهب أنت يا "وسام" إلى منزل الضحية السيد "ماركو فلينتو ن" و قم بمراقبة الآنسة "أليس" شقيقته و لا تدعها تغيب عن ناظرك أبدا..و أنا سأذهب لمكان ما و سنلتقي في الشقة...و الآن لا أريد أن أتأخر عن عملي...وداعاً.

افترق الصديقين كل ذهب في اتجاه آخر..وصل "وسام" أولا إلى منزل الضحية و اخترق السور المحيط بالحديقة و أطل من النافذة الكبيرة لغرفة الاستقبال فرأى "أليس" تتحدث عبر الهاتف:

-حسنا...حسنا...سآتي الآن...لن أتأخر...أنا أقول لن أتأخر..أعدك...انتظرني فحسب.

أنهت المكالمة و صعدت إلى غرفتها و غيرت ملابسها...و نزلت بسرعة...قفز "وسام" من على السور مجددا و تسلل للخارج متتبعا "أليس" كظلها أينما ذهبت...وصلت لمقهى حيث ينتظرها شاب قام و سلّم عليها ويبدو على كلامهما و تصرفهما أنهما عاشقين...و كان "وسام" على بعد مقعدين خلف طاولتهم مخفي وجهه بجريدة و فجأة سمع حديث رجلين بجانبه:

-تلك الفتاة أليست شقيقة المدير الذي قتل قبل شهر؟

-أجل...إنها هي مع صديقها "آدم"...و لكن يا صاح أتعلم أنه حدث أمر غريب ليلتها؟

-و ماذا حدث؟...لقد أقلقتني يا رجل.

-في يوم الحادثة و على الساعة الثالثة تقريبا رأيت "آدم" صديقها يركبسيارته و يقود بسرعة و بعد مدة زمنية قدرها ثلث ساعات عاد و معه "أليس..."

جلسا هنا يتحدثان إلى غاية الساعة الرابعة و غادرا المكان...كان "آدم" مضطربا لدرجة أنه أقفل قميصه بطريقة غير منظمة...وجهه شاحب...و أظن "أليس" في ذلك الوقت حسبما أذكر تلقت اتصالا عن مقتل شقيقها فقد ظهرت عليها الصدمة و بدأت في البكاء والصراخ...و غادرا المكان.

-هذا غريب حقاً.

كان الحوار تحت سمع "وسام" و عيناه تراقبان "أليس" و على ما يبدو ذلك "آدم"...قاما معا و افترقا عند مدخل المقهى..و أكمل "وسام" في مراقبتها... و من جهة أخرى كان "سان تياغو" قد وصل إلى المكان الذي تعيش فيه الخادمة...بعد أن سأل بعض المارة بشارع عن مكان إقامتها فدلته عجو ز...و اتجه إلى هناك...كانت الأحياء تعود لفقراء مدينة "أكسفورد"...بنايات هشة...و شوارع ضيقة...وصل إلى منزلها و دق الجرس...

و خرجت له الخادمة التي كان يبحث عنها:

-مرحبا أيها الشيخ...أما من خدمة؟

-أهلاً أيتها الشابة أنا المحقق" سان تياغو" جئت بخصوص مقتل "نيك آرثر" هل لي أن أدخل؟-نعم...تفضل...من هنا.

دخل العجوز و سار في تلك الشقة المهترئة و الرثة جلس على الكرس ي وجلست الخادمة مقابلة له:

-لن أطيل في الكلام و سأدخل في صلب الموضوع...أروي لي ما حدث ليلتها؟

-حسنا...بعد عودة سيدي إلى المنزل و تناوله العشاء مع زوجته صعدا إلى الغرفة و بعد برهة أغلق البستاني الأبواب و ذهب للنوم كان الوقت آنذاك العاشرة ليلا و في تلك الليلة كان البدر ساطعا و كأنه نهارا لا يبدو أنها العاشرة...صعدت لغرفة نومها كالعادة لتقديم د واء المنوم لسيدتي فوجدتها في الحمام تغتسل فطلب مني سيدي تركها لها على الطاولة...كما طلب مني تحضير كوب شاي بالنعناع و هذه أول

مرة يشرب فيها شايا...في منتصف الليل و بعد أن دقت الساعة الكبيرة سمعت وقع أقدام نازلة من السلالم و صوت فتح الباب...استرقت السمع و اتضح بأنه سيدي من خرج وقتها و كان يتحدث مع شخص وكما تعلم فضول النساء اقتربت من باب غرفتي لأستمع لحديثهما فوجدته يتحد إلى فتاة صغيرة العمر أي طالبة تقريبا و هذا لأني سمعت صوتها قائلة له "إن لم تأتي الآن سأصعد لزوجتك و أخبرها بالحقيقة" ردّ عليها قائلا "حسنا حسنا سآتي إليك على تمام الساعةالرابعة فجرا و غادري من هنا لو سمحتي..."

غادرت الفتاة بعدها و هو صعد لغرفته و عند تمام الرابعة استيقظ سيدي في موعده و قمت لتحضير له الفطور و غادر بعدها المنزل...و تكملة القصة تعرفها الشرطة.

-و لكن لما لم تدلي بشهادتك هاته لرجال الشرطة؟

-لأن هذا ليس من شأني...علاقات سيدي لا اهتم بها ...و لم أكن على علم بأنها معلومات هامة بالقضية.

-و هل رأيت تلك الفتاة؟

-لا لم أرها...آه تذكرت...في أحد الأيام عندما كنت عائدة من السوق لمحت فتاةً تحوم حول المنزل و ما إن رأتني غادرت مسرعة...كانت تبدو شابة صغيرة ترتدي ملابس الخاصة بطلاب الثانوية.

-و هل تعرفينها؟

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

الفصل الثالث
المشهد الاول



خرج "سان تياغو" من منزل الخادمة يحمل ورقة بها اسم الثانوية و اتجه إلى هناك...كان "وسام" في الشقة ينتظر قدوم "رياض" و بعد مدة من الانتظار وصل العجوز "سان تياغو" أولا و جلس على الكرس ي يلتقط أنفاسه:

-أين كنت يا جد "سان تياغو"؟

-لقد كنت هنا و هناك أبحث في بعض الحقائق...أين "رياض"؟

-لا أعلم...لقد افترقنا منذ ساعة و أنا الآن بانتظاره.

و بعد طول انتظار وصل "رياض" و اتجه إلى الطاولة ليشرب الماء الموضوع فوقها و جلس على السرير...يتجه بنظره للجد "سان تياغو":

-ماذا وجدت أيها العجوز بعد بحثك في القضية؟

-و ماذا وجدت أنت؟

-سأخبرك فقط بالتفاصيل التي وجدتها و لكن لن أخبرك بهوية القاتل...و طبعا أنا متأكد أنك بعد سماع ما سأتلوه عليك ستعرفه بكل سهولة.

-موافق بعد أن تنهي ما تحمله من معلومات سأخبرك بما وجدته و أنا متأكد ستعلم من هو "ثعلب الصحراء."

عندها تدخل "وسام" بنقاشهما:

-أوليس القاتل نفسه من قتل الضحايا الست؟

ابتسم كل من "رياض" و "سان تياغو" بسمة تعبر عن الكثير:

-ابدأ أنت يا جد "سان تياغو."

-حسنا...لن أتجادل معك أكثر إليك ما وجدته:

(لقد حققت في الجريمة الثانية، مقتل السيد"نيك آرثر" و أول مكان قصدته و هو منزله فلم أجد أي أحد...تسللت إلى كراج السيارة و بعد البحث وجدت شيئين أولهما عدسة لاصقة خضراء اللّون و بعد الاستنتاج وجدتها تعود للقاتل و ثاني ش يء عثرت على طحلبا بحريا متيبس متعلق بأسفل السيارة و بعد ربطه بالحادثة استنتجت بأن الضحية

زارت البحر يوم الجريمة...استجوبت البستانيّ و الخادمة وأخذت منهما معلومات هامة و قيمة، كما أني لاحظت جميع الساعات الموجودة بمنزل الضحية قد قدمت بثلاث ساعات لغرض ما، كما أني عثرت على نصف حبة دواء للمنوم في علبة الخاصة به لزوجة الضحيةو التي من المفروض أنها تتناول حبتين كل ليلة...

قالت الخادمة بأن السيد"نيك آرثر" قد تحدث مع طالبة بالثانوية خارج منزله

في منتصف الليل...و كانت وجهتي الثانية إلى المؤسسة التعليمية التي يشتغل بها السيد "نيك آرثر"...سألت الصف الذي تدرسه الضحية و بعد البحث المتواصل و نبش الماض ي وجدت بأنه كان على علاقة غير شرعية مع طالبته قبل أن يتزوج بزوجته الحالية...و كما تعلم أنه غير مسموح أن يرتبط المعلم بطالبته...يعتبر خارق لأخلاقه المهنية...و هكذا ابتعد عن طالبته و تزوج بامرأة أخرى و هي زوجته

الحالية...و المفاجأة غير المتوقعة أن الطالبة قد حملت منه بعدما كانت تمارس معه العلاقة حتى و هو متزوج لأنها لم ترضخ لأمر الواقع...تم طردها من منزلها بعد حملها و غادرت الثانوية نهائيا..و لم يعلم أي أحد أين هي؟و ماذا تفعل؟...و عادت ليلة مقتل السيد "نيك آرثر" و غادرت...و لم يعثر عليها ...هذه كل القصة).

-أحداث مشوقة للغاية...لقد عثرت على الكثير حقا...فاجأتني أيها العجوز...حسنا سأخبرك أنا عما وجدته

(لقد توجهت أنا و "وسام" إلى منزل الضحية الأولى السيد "ماركو فلينتون"وجدت زوجته و شقيقته "أليس" ...و بعد استجوابهما وجدت بأن هناك تناقض بين كلام زوجته و تقرير طبيب الشرعي...قالت زوجته بأن زوجها أي الضحية اتصل بها يوم الجريمة على تمام الساعة الخامسة و النصف و أخبرها بسبب تأخره...و تقرير الطب الشرعي حدد الساعة الخامسة تقريبا هو زمن الوفاة...قالت الآنسة "أليس"

شقيقة الضحية بأن صديقها قد لمح الضحية في سيارته مع امرأة لم يعرفوها ذات مواصفات معينة و ما كانت غير محاميته السيدة "ساني جيمس" التي كتبت وصيته الأخيرة...

كان فحواها أنه قد كتب لابنه نصف ثروته و كتب النصف الثاني مناصفة بين زوجته و سيدة تدعى "جيسيكا

لادو ر" المرأة المجهولة لايعرفها أي أحد...عثرت على رسالة غرامية في مكتب الضحية موجهة إليه...توجهت بعدها إلى المؤسسة التي يعمل بها و درست مسرح الجريمة، وجدت زر قميص رجالي...و لاحظت أيضا الغرابة الموجودة في مسرح الجريمة لا وجود لآثار دم...أخذت عنوان جامعة التي درست بها شقيقة الضحية الآنسة "أليس" و اتصلت بهم فوجدت أمراً هاما جدا لن أبوح به حتى أتأكد من صحته.)

-و عندما كلفتني بمراقبة الآنسة "أليس" تحدثت عبر الهاتف مع شخصو اتفقا على اللقاء بالمقهى و فعلا التقت به يدعى "آدم"

و بالمصادفة استمعت لحوار رجلين كانا يجلسان بجانب طاولتهما ففي ليلة مقتل السيد "ماركو" تواجدا مع بعض إلى غاية السابعة كما تلقت الآنسة "أليس" نبأ مقتل شقيقها...كان "آدم" في غاية التوتر و الاضطراب حتى أنهما لاحظا ملابسه غير منظمة.

-حسم الأمر إذا بشأن القضيتين الأولى و الثانية مازال أمامنا أربع قضايا وسنبحث فيها الآن يجب أن ننهي هذه القضية بأسرع وقت ممكن.

أومأ كل من "وسام" و العجوز "سان تياغو" بالإيجاب:

-أنا سأتكفل بالقضية الثالثة و أنت بالبقية لأني شيخ و لم أستطع أن أستمر أكثر بتنقل هنا و هناك.

-اتفقنا إذاً.

المشهد الثاني

خرج كل من "رياض" و "وسام" للتحقيق بالجريمة الرابعة...مقتل السيد "مارتن كورتاز"

الكاتب الشهير...توجها بسيارة أجرة إلى مقر إقامته...و بعد طول المسافة وصلا و اندهشا من ضخامة المنزل و رقيه...

دقا الجرس و فتحت لهما الخادمة:

-مرحبا...أعرفك بنفس ي أنا "رياض عبد العزيز" و هذا صديقي

ومساعدي"وسام الشرقاو ي" جئنا لتحقيق في قضية مقتل السيد "مارتن كورتاز" ...هلاّ سمحتي لنا بالدخول؟

-نعم تفضلا بالدخو ل.

جلسا في غرفة الاستقبال ينتظران أصحاب المنز ل...دخلا عليهما رجلا وعجوز مسنة و امرأة...وقف "رياض" يلقي سلامه:

-أجل يا بنيّ أنا "روساورا باز" و هذا ابني "خوليو كورتاز" شقيق فلذة كبدي "مارتن" و هذهزوجة "خوليو" السيدة"ماريا كورتاز"...تفضلا بالجلوس:

-شكرا لك سيدتي ...أنا آسف على ما حدث لابنك..أود أن أطرح بعض الأسئلة عليكم التي ستخدم القضية.

-تفضل أيها السيد...ما نود حقا...أن يتم القبض على "ثعلب الصحراء."

-لا تقلقي...سنجده حتما و الآن سأبدأ معك يا سيدتي ...أين كنت يوم الحادثة؟

-كنت هنا بالمنزل بعدما اتصل بي ولدي و أعلمني بأنه سيكون بالمنزل على الساعة الواحدة بعد الزوال و لكنه لم يعد نهائيا.

-هل تتذكرين زمن مغادرته المنزل؟

-أظنه غادر حوالي التاسعة صباحا متجها إلى مكتبه.

تحدثت زوجة شقيق الضحية:

-أنا و زوجي و شقيق زوجي "مارتن."

-هل لي أن أسأل سبب هاته المشاحنات؟

تغيرت تعابير "ماريا" زوجة شقيق الضحية إلى الأصفر و جف ريقها عندها تدخل زوجها "خوليو:"

-مشاحنات عائلية طبيعية...طلبت منه إن يؤسس عائلة و يستقر بدل أنيسرقه الدهر فلا يجد زوجة تحن عليه أو أبناء يساعدونه.

-فهمت...و لكن ما دخل زوجتك السيدة "ماريا" في الشجار؟

-كالعادة تتدخل فيما لا يعنيها "أين كنت؟" ..."ماذا

تعمل؟"...بلا..بلا..بلا...أحاديث نسويه فارغة.

-أليس لديكم ش يء تضيفونه؟

ردّت السيدة والدة الضحية:

-لا أعتقد بأن هناك ش يء نصرح به.

-أين كنتما أنتما الاثنان أثناء وقوع الجريمة؟يشير للزوجين:

-كنت يومها أتسامر مع أصدقاء لي و لدي شهود بذلك.

-و أنت يا سيدة "ماريا"؟

-كنت في السوق إلى غاية منتصف النهار و لي صديقة شاهدة على ذلك أيضا

-لي طلب منك يا سيدة "روساورا"...أريد تفتيش المنزل و ليكن في علمك لدي ترخيص بذلك؟

-تفضل لا توجد أي مشكلة...المهم بالنسبة لي هو القبض على "ثعلب الصحراء" اللعين.

-(يبتسم بسمة عميقة الأثر) سنجده لا تقلقي.

حام على الغرفة ثم اتجه إلى الهاتف و ضغط على زرالذي يظهر الرسائل البريد الصوتي فوجد الكثير منالأسماء التي ذكرت في يوم مقتل الضحية السابع و العشرين...دوّن تلك الأسماء في دفتره و غادر الغرفة...

و أكمل تفتيش بقية الغرف و لم يعثر على ش يء يلفتالانتباه انتهى من الطابق الثاني و نزل السلالم وعند مغادرته:

-هلاّ أخبرتني...ماذا كان اسم صديقتك التي كنت معها يوم الحادث بالسوق؟

"-أندريا مونتيرو."

-أكرر شكري على تعاونكم معنا...إلى اللقاء.

غادرا المنزل معا:

-و الآن ما وجهتنا التالية؟...إلى أين سنذهب؟

-لم في رأيك يا "وسام" كتبت تلك الأسماء التي تم ذكرها على بريد الصوتي في يوم الحادث؟

-دعني أخمن...هل تعتقد أن أحد الزوجين هو القاتل، فلو كان الشقيق السيد "خوليو" هو الجاني فالأكيد سيكون أحد أصدقاءه سيتصل بهو هو قد اخبرنا بأنه كان معهم يوم الحادثة و بالمثل زوجته السيدة "ماريا" فلو اتصلت صديقتها الآنسة "أندريا مونتيرو" أثناء وقوع الجريمة فهذا يتضح بان "ماريا" كاذبة بمكان تواجدها...هذا يعني أن احدهم هو "ثعلب الصحراء."

-بينغو و...أصبت في كل ما قلته...لذا سنتجه إلى مكتب الاتصالات...لطلب الرسائل الصوتية التي أرسلت إلى رقم هاتف المنزل الضحية فقد أخذته من مكتب السيد "مارتن."

-إذا فانا أتحدث مع نابغة زمانها.

يقف "رياض" وقفة المغرور و المتعالي:

-معك "رياض عبد العزيز" الذي سيحفر اسمه بحروف من ذهب في كتب التاريخ المجيد.

"وسام" يحدث نفسه:=.=

-أظنه أختل حقا...معذو ر...معذو ر.

عاد"رياض" لجديته:

-أرى أنها قضية سهلة لما تحمله من تفاصيل و دلائل و لنقل إني وجدت "ثعلب الصحراء"...فهيا نحقق في مقتل السيد"ماريو ولسو ن" الجريمة الخامسة قبل أن يحل الظلام...فهل لديك عنوانه.

-أجل...انك تخفي عني التفاصيل الهامة.

-ستعلم كل شيء في وقته يا "وسام" لا داعي لاستعجالك.

المشهد الثالث

و بالجهة الأخرى كان العجوز "سان تياغو" قد وصل إلى منزل الضحية الثالثة السيد "جون ساوروا"...فتحت له سيدة:

-مرحبا...أنا المحقق "سان تياغو" المسئول عن تولي التحقيق في قضية مقتل "جون ساوروا"...هلاّ سمحت لي بالدخول؟

-مرحبا أيها السيد...أنا مربية ابنه...تفضل بالدخول من هنا من فضلك.

تتبعها "سان تياغو" إلى غاية غرفة الجلوس حيث وجد الجميع مجتمع يحتسون الشاي حياهم و جلس معهم:

-أنا السيدة"سوزان ساوروا" والدة "جون ساوروا" و هذه الشابة التي بجانبي "دينا ساوروا" و ذاك الشاب ابني الأصغر "دين ساوروا" و هذا الولد الصغير حفيدي "جاك ساوروا" أما تلك التي بجانبك

فهي صديقتي ولدي الراحل الآنسة "تيفاني".

-جئت إلى هنا سيدتي للبحث في حقيقة مقتل ابنك و إيجاد القاتل.

تكلم "دين ساوروا:"

-ألم تؤكد الشرطة بأن "ثعلب الصحراء" هو القاتل؟

-أعلم ذلك...و أنا جئت إلى هنا للبحث عن بعض الأدلة التي تدينه أكثر وسأطلب منكم الإجابة على بعض أسئلتي.

ردّت عليه "تيفاني" صديقة الضحية:

-نحن في خدمتك يا سيد.

-من منكم رأى الضحية آخر مرة؟قالت والدته الحزينة:

-آخر مرة رأيته فيها ليلة السابقة ليوم الجريمة أي التاسعة مساءً عدما دخل مكتبه و في الصباح تأخر في النوم و من عادته الاستيقاظ باكرا على الثامنة أو التاسعة على الأكثر...صعدت لغرفته قرابة العاشرة وجدته على السرير جاحظ العينين مشنوقا بحبل.

تحدث شقيق الضحية:

-أكدت الشرطة على أنها عملية انتحار لعدم وجود أدلة ...لكن مسرح الجريمة جعلهم يتراجعون عما قالوه.

-و ما هي نوع العلاقة التي تجمعك بالضحية يا آنسة "تيفاني"؟

-علاقة صداقة و شراكة عمل.

-و ما نوع العمل؟

-أعمل معه في عيادته...كما إننا نملك فرعا في الصيدلة نستورد الأدوية.

-حسنا...أود تفتيش غرفة الضحية.

-إنها في الطابق الثاني تفضل.

صعد "سان تياغو" و دخل غرفة الضحية و باشر في تفتيشها...يحدث نفسه:

-إن كان قد انتحر فعلا...لوجدت جثته معلقة...و لو احتملنا انه سقط بعدما ثقل وزن الجثة فحتما سنجد الكرس ي أو الش يء الذي صعد عليه للأعلى و فوق كل هذا أين الحبل؟

بحث في أدراج الخزانة و عثر على بعض الأوراق...انه عقد شراكة بين الضحية و الآنسة "تيفاني" ينص على استيراد أدوية...ثم يلمح عقد آخر اطلع عليه و ارتسمت البسمة على ثغره ...نزل من غرفة الضحية:

-حسنا...لقد وجدت ما جئت لأجله...استودعكم.

همّ بالمغادرة لكنه التفت إلى "دين" شقيق الضحية و "تيفاني" صديقة الضحية بنظرة عميقة و غادر بعدها محدثا نفسه:

-الآن أكملت مهمتي...بقيت ثلاث قضايا سيتولاها "رياض" فهل سينجح؟...سأذهب و أستريح في غرفتي فقد أرهقت نفس ي و سأستمتع بعذاب "رياض" في البقية.

المشهد الرابع:

و بالجهة المقابلة كان "رياض" و "وسام" قد وصلا إلى منزل الضحية الخامسة "ماريو ولسو ن..."

يفتح المشهد عليهم جالسين مع عائلة الضحية:

-أنا "لونا ولسو ن" زوجة "ماريو" و هذه ابنتي الصغيرة أما هذا الشاب فهو شقيق زوجي "ماك ولسو ن" و تلك الشابة زوجته و تلك الشقراء شقيقة زوجي الكبرى "سندرا ولسو ن" و كما توجد الخادمة و خادمين اثنين في هذا المنزل.

-أريد طرح بعض التساؤلات عليكم عن قضية الضحية.

ردّت شقيقة الضحية:

-تفضل كل ما يهمنا و هو القبض على "ثعلب الصحراء" هذا و تسليط عليه اشد العقوبات.

-لا عليك يا آنسة نحن نقوم بواجبنا...لماذا خرج السيد"ماريو ولسو ن" إلى الحديقة على الساعة الثالثة مساءً؟

-لا لم يخرج على الثالثة و إنما الثانية بعد الظهرلغسل سيارته...لكنه لم يعد إلى غاية اكتشاف جثته فيالحديقة الخلفية.

-و من هو مكتشف الجثة؟عندها تحدثت الخادمة:

-أنا يا سيدي من اكتشفها...عندما أردت أن أخرج لأستنشق بعض الهواء لمحت سيدي جالس على الكرس ي تقدمت منه لأسأله عن رغبته بشريفنجان من القهوة...و ما إن دنوت و مددت يدي إلى كتفه حتى سقط على الأرض جاحظ العينين دون حراك عندها اتصلت بالشرطة.

-ألم تصدر تصرفات غريبة في الآونة الأخيرة من طرف الضحية أو قد لمحتم ش يء غريب قد حصل قبل وفاته؟

-لا لم أرى فكل معارفه أعرفهم جيداً.

-هل كانت علاقته جيدة مع أفراد أسرته؟تكلم الأخ:

-أجل لقد كانت علاقتنا جيدة جدا لدرجة أننا نتبادل ملابس مع بعض.

-ألا يوجد إي ش يء تضيفونه؟

-لا لا نملك أي ش يء ندلي به.

-ما عليا الآن هو تفتيش غرف و بعدها أباشر بحديقة المنزل.

صعد "رياض" رفقة "وسام" إلى الطابق الثاني لتفتيش غرفة الضحية...ورغم طول البحث لم يجدا ما يؤخذ بعين الاعتبار على انه دليلا...

لكن "رياض" قرّر تفتيش بقية الغرف...و فعلا طبق ذلك إلى غاية وصوله إلى غرفة شقيق الضحية الأصغر و هناك عثر "رياض" على تقريرا طبيا

قرأ الاسم المريض المدون عليه...و صُعق بما وجده...و بعدها نزلا إلى غرف الخدم و باشرا في تمسيحها من أي أثر بدءً بغرفة الخادمة التي اكتشفت الجثة...بحثا فيها إذ به يجد بعد طول البحث تحت السجادةالمطرزة علآقة لقلم حبر ذهبي اللّون رفعه بمنديله و وضعها في جيبه ثم خرج من هناك مع "وسام" و التقى بالعائلة و هناك قرّر أن يعرف لمن تعود تلك العلآقة ذهبية اللّون؟...فطلب من الجميع

أن يمدّوه بقلم حبر ليكتب شيئاً في دفتره فقامت زوجة شقيق الضحية بإخراج قلم حبر ذهبي اللّون بدون علاّقة فتفاجأ لكنه اخفى تعابير التي انطلت عليه بسرعة...

ابتسم في توديع لهم و خرج من هناك رفقة "وسام" يحكّ ذقنه و يفكر فيملابسات هذه القضية...توقف برهة شارد الذهن...و انتشله صوت "وسام" من عمق التفكير:

-ما لذي تفكر به يا "رياض"؟هل هناك خطب ما؟.

-هناك أمر صغير...قد غاب عني...يجب أن أعود إلى عائلة "ولسو ن" لتأكد من ش يء ما...انتظرني هنا سأعود.

غاب "رياض" مدّة زمنية قليلة ثم عاد من هناك راكضاً ...وصل حيث ينتظره "وسام"...يلتقط أنفاسه من قوة الركض:

-لماذا عدت إلى هناك؟...و هل عثرت على ما كنت تفكر به؟

-هيا...هيا...مازالت أمامنا القضية الأخيرة يجب أن نحلها بسرعة لم يبقى أمامنا الوقت الكافي.

نظر إليه "وسام" زجراً: >.<

-ألا ترى بأن الوقت قد تأخر...و الظلام قد حلّ...

سنعود غدا...و الصراحة لقد أنهكني التجول اليوم كثيراً.

تطلع "رياض" للسماء ليجدها سوداء تتلألأ النجوم و القمر ساطع:

-متى حلّ الليل...أنا لم أتفطن لذلك.

×.×نظر له "وسام" بانزعاج أطفال:

-ما إن تقحم أنفك الطويل في قضية...حتى تنس ى ما حولك... حتى أنا تنس ى وجودي.

ضرب "رياض" كتف "وسام" :

-لا عليك...لا عليكU.U ستنام و ترتاح و ستنس ى.

الفصل الرابع
المشهد الاول



عادا يتمازحان في الطريق إلى شقتهما التي يقيمان فيها...و ما إن فتح الباب حتى وجد العجوز "سان تياغو" نائما

على سريره عندها استدار بغضب إلى "وسام" الذي وجهنظره بعيداً لتفادي الشرر المتطاير من عيني "رياض..."

نام "رياض" ليلتها على الأريكة يلم كل أطرافه ككرة لتتسع لجسده الرياض ي الضخم تاركاً العجوز "سان تياغو" المحتال يتمتع بفراشه المريح...انطلق

صوت المنبه فجرا ليستيقظ "رياض" متثاقلا...اتجه للحمام و اغتسل و توض ئ ليقيم صلاة الفجر...و ما إن خرج حتى اصطدم بجسم هزيل ليخفض بصره:

-هذا أنت أيها العجو ز...لم أنت مستيقظ هذا الوقت؟

-قليل التهذيب...قل صباح الخير أولاً.

ردّ "رياض" عليه ببلاهة:

-صباح الخير...هل ارتحت الآن؟

يزيحه "سان تياغو" من أمامه بعصاه ليدخل الحمام...و فجأة:

-انتظرني أنت و "وسام" لنصلي جماعة.

-حسناً ...)يستدير ليغادر ...ثم يعود بجسده إلى موضع الجد بصدمة جاحظ العينين)

-م..مم..ماذاااا؟؟

يتكلم "وسام" الجالس في أحد أركان الغرفة بجانبه مصباح صغير يض يء به كتاب...إنه القرآن الكريم:

-لا تصدم يا "رياض"...الجد "سان تياغو" مسلم.

انعقد لسان "رياض" عند الكلام لكنه يشير إلى ذراع الجد "سان تياغو" دون نبس أي كلمة ليجيبه "وسام":

-هل تقصد وشم الصليب على ذراعه؟؟

يومئ "رياض" بالإيجاب في صدمة فهو لم يتوقع ذلك ليكمل "وسام" كلامه:

-الجد "سان تياغو" كان مسيحيا في شبابه إلى أن وصل لسن الستين تصادق مع عربي و بفضل طيبة هذا الرجل و أخلاقه السامية و لسانه المحفوظ ...صفات الحقيقية التي يتسم بها المسلمين الحقيقيين...خصال الرجولة، الصدق و الأمانة، النبل والشهامة،المساعدة في وقت الحاجة و الطيبة...كلها سمات حببت "سان تياغو"في الإسلام...فقرّر أن

يدرس أكثر و يتعمق في هذا الدين و يعرف عنه الكثير...

بحث في الكتب و قرأ القرآن و تفسيره...و أبحر في سيرة الرسول صلى اللهعليه و سلم...إلى أن أخذ قرار بدخوله الإسلام في السن الخامس والستين...ذهب إلى المسجد و أعلن إسلامه بنطق الشهادتين و عندما تعرفت عليه عن طريق المفتش "أرمسترونغ" كنت أتعامل معه على أنه مسيحي عن كونه أجنبيا و اسمه "سان تياغو" و وجود صليب على ذراعه...و كانت المفاجأة التقائي به في المسجد عند صلاة العشاء...كانت صدمتي كصدمتك...أما بشأن الصليب فقد واجه صعوبة في محوه...أولا لأنه مؤلم جدا بالنسبة لسنه...إضافة لإصابته بداء السكري فمن الصعب إزالته.

تجمد "رياض" مدة من الزمن، و فجأة ارتسمت بسمة عريضة لأذنيه وإلتمعت عينيه سعادة:

-أسعد خبر سمعته منك يا "وسام" حقاً ...هكذا نستطيعالصلاة جماعة لننال أجراً أكبر...كم زدت حبا في الجد "سان تياغو."

-و ليس هذا فقط اسم "سان تياغو" الإسلامي هو "محمد الإسلام."

انهار "رياض" على الأرض مغشيا عليه لينتفض "وسام" لنجدة صديقه...انحنى إليه فيجده قد فتح عين و أغلق عين:

-لا تقلق كنت أجرب كيف يغمى عليا فرح اً...حقاً انه أسعد خبر سمعته.

و ما كاد ينهي جملته حتى خرج "سان تياغو" من الحمام يحمل منشفة يجفف وجهه...و فجأة وجد من يحضنه بقوة كاد يختنق بسببها:

-أنا حقا سعيد بك يا "محمد الإسلام"...كنت أحبك و لكن الآن أكثر.

نظر "سان تياغو" إلى "وسام" متسائلاً و مازال "رياض" يحضنه:

-لقد اختل عقله لا عليك يا جد "محمد."

-ابتعد عني يا ولد...ما بالك...ستفوتنا الصلاة.

-هيا إذا...بنا.

قالها "رياض" و هو يحتضن ذراع "محمد" و يساعده على المش ي بسعادة.

تقدم "سان تياغو" للأمام ليكون الإمام لهما و وقف "رياض" و "وسام" وراءه بابتسامة مرحة ممتنة لهذه اللحظة التي جمعت المسلمين مع بعض رغم عروبة "رياض" و "وسام" و أجنبية "سان تياغو"

و رغم اختلاف اللغة بين العربية و الإنجليزية أو المكسيكية لكن القل وب الطيبة و الروح النقية جمعت بينهم تحت سقف واحد...رفعه "محمد"^_^)سيكون اسمه محمد بدل سان تياغو في الصفحات التالية

المشهد الثاني

تناولوا الإفطار في سعادة و تبادلوا أطراف الحديث و تسامروا:

-لقد اهتممت بالقضية الثالثة مقتل "جون ساوروا"...توجهت أولا إلى منز لالضحية و هناك قابلت عائلته المتكونة من الوالدة "سوزان ساوروا" وشقيقته "دينا ساوروا" و شقيقه "دين ساوروا" و

صديقته"تيفاني"...بدأت بسؤالهم واحداً تلو الآخر و ما سأقوله هو حوصلة ما وجدته:

)بعد تأخر الضحية في النوم إلى غاية العاشرة صباح اً، قرّرت والدته الصعود لإيقاظه و ما إن دخلت حتى وجدته طريح الفراش جاحظ العينين و آثار الحبل مرسومة على رقبته، اتصلت بالشرطة...وضع رجال الشرطة احتمال انتحاره...عدم وجود أداة الجريمة..استلقاءه على فراشه...صحة

عقله...كلها دلائل تبعد هاته الفرضية...إذا نحن بصدد جريمة قتل...هنا تظهر العراقيل التالية...أداة الجريمة مفقودة...انعدام البصمات أو أي آثار يدل على أنها جريمة...بحثت في غرفة الضحية عن أي ش يء يفيدني...وجدت عقود عمل شراكة بين الضحية و صديقته الآنسة "تيفاني" تنص على عملية استيراد الأد وية و لكن في أحد الأدراج السرية للغاية عثرت على أوراق

كان تحوي على عمليات غير قانونية لتهريب الأدوية بين الضحية و"تيفاني..." نزلت من الطابق الثاني و أنا متأكد بأن أحد أفراد هذه العائلة هو القاتل لكني لمحت شيئا أزاح عني الشك في هوية القاتل بل بت متأكد من هويته...وجدت أداة الجريمة...و هي ملازمة للقاتل أينما ذهب خوفاً من رميها و عثور رجال الشرطة عليها، و يتعرفوا على بصماته...لذا قرّر الجاني حمل أداة

الجريمة معه دوماً ولن ينتبه لها رجال الشرطة أبداً.)

-أفهم من كلامك يا "محمد" أنك وجدت القاتل.

-أجل يا "وسام" لقد عثرت عليه و لن يفلت من حبل المشنقة.

-أما أنا فقد حققت في القضية الرابعة و الخامسة و اليوم إن شاء اللّه سأباشر في القضية السادسة و أنهي قضية "ثعلب الصحراء"، أولا سأشرح ما يخص القضية

الرابعة...ضحية "مارتن كورتاز" الكاتب الشهير...

توجهت أنا و "وسام" إلى منزله و استقبلتنا عائلة الضحية المكونة من الوالدة "روساورا باز" و شقيقه "خوليو كورتاز" و زوجة شقيقه "ماريا كورتاز" و كالعادة طرحت الأسئلة على العائلة لكي ألتقط أي اضطراب نفس ي قد يصيبهم الذي تسببه تلك التساؤلات...إن علم النفس محيط لا بحر ليس مقتصر على الطبيب أو المختص فقط فعلى أي إنسان طبيعي أن

يملك شطر من هذا العالم ليتعايش مع مجموعة من الناس المختلة الطبيعية...و هذا ما تعلمته من مذكرات والدي "محمد..."

استنتجت من استجوابي لهم أن الأخ و زوجة الأخ الضحية يخفيان أمراً حول القضية أو متورطان بها و لهذا فتشت غرفة الضحية و بقية غرف المنز ل...جمعت بعض الأدلة منها خصلة شعر من مشط زوجة شقيق الضحية"ماريا" كما دونت أسماء المتصلين يوم الحادثة

و اتجهت بعدها إلى مكتب الاتصالات و هناك وجدت ضالتي...انتقلنا بعدها إلى منزل الضحية الخامسة "ماريو ولسو ن"...تحدثنا مع زوجته "لونا ولسو ن" و شقيقه"ماك ولسو ن" و زوجة الشقيق و الشقيقة الكبرى "سندرا ولسو ن" و هناك الخادمة و خادمين آخرين و بعد طرح بعض الأسئلة خرجت ب:

الضحية لم تغادر المنزل على الثالثة مساءً و إنما على الثانية بعد الظهر إلى فناء الخلفي للمنزل لغسل سيارته

و مكتشف الجريمة هي الخادمة وجدته على كرسيه متيبسا...لم تكن له أيمشكلة مع أفراد عائلته...توجهت لغرفة الضحية بعدها لكني عثرت على تقرير طبي يحمل اسم "صونيا بروان" تحمل أدوية تقدم للمرأة الحامل.

قاطعه "وسام:"

-و من تكون "صونيا براو ن"؟

-إنها خادمة المنز ل...مكتشفة الجثة.

-ألم يكن اسمها "صاني"؟

-اسمها الحقيقي هو "صونيا بروان"...بعد عثوري على التقرير، قرّرت تفتيش غرفة الخادمة...وجدت هناك علاّقة قلم حبر جاف ذهبي اللّون تحت السجادة...طرأت لي فكرة تجعلني أعرف لمن تعود هذه العلاّقة فطلبت منهم قلم حبر...

قدمت لي زوجة شقيق الضحية "كارمن" قلما بدون علاّقة كانت صدمة لي حقا لأنها أبعدتني نهائيا عمّا استنتجته...كيف و أنا خمنت أن القاتل غير "كارمن.. "

خرجت من هناك غير مقتنع بما حدث لي كيف؟.. كيف؟...رفعت العلاّقة أتفحصها لأعثر على ش يء صغير لا يلاحظه أي شخص...تركت "وسام"و عدت لمنزل الضحية و فعلا تأكدت ظنوني.

-أي أنك عثرت على القاتل؟

-أجل يا جدّ "محمد" لقد وجدته و سأتأكد من تعفنه في السجن.

-و هكذا لم يتبقى سوى القضية السادسة، مقتل "توماس نايف" مدير مؤسسة تجارية للأقمشة.

-أجل يا "وسام"...إذا هيا بنا لننهي مسألة "ثعلب الصحراء."

تناول "رياض"و "وسام" الإفطار و ركبا أول قطار يتجه إلى المنطقة التي يقطن فيها "توماس نايف"...وصلا بعد نصف ساعة من السير بالقطار و توجها بعدها على متن سيارة أجرةنحو منزل الضحية...كان شبه قصر أبيض اللّون

وسط حديقة كبيرة خضراء مزركشة ببساط من الورود و الزهور الملونة بين الأحمر للأقحوان و الأبيض للياسمين و البنفسجي للتوليب...مزود بمسبح كبير و واسع

بيضاوي الشكل ما لفت انتباه "رياض" و هي البوابة لمدخل القصر كانت ضخمة و مصممة على يد مهندس ماهر...

المشهد الثالث

جلسا مع العائلة في غرفة الاستقبال كانت شاسعة و فخمة من أثاثها الراقي أسود اللّو ن...تحدثت سيدة:

-مرحبا بكما في منزلي أنا "داني نايف" زوجة

"توماس نايف" و هذا ابني الصغير و هذه العجوز هي والدتي أما ذلك الرجل الأشقر شقيق زوجي

"دايفيد نايف" و هذه التي بجانبي زوجته "آليسيا نايف"و تلك الفتاة ذات الشعر الأسود شقيقة زوجي

"نانس ي نايف" و بجانبها شقيقة زوجي الكبر ى

"سام نايف"...هذه كل العائلة.

-تشرفت بمعرفتكم ...أنا "رياض عبد العزيز" المسئول عن قضية زوجك وهذا صديقي "وسام شرقاو ي."

تحدثت "أليسيا" زوجة شقيق الضحية:

-أأنت عربيٌّ؟؟

-أجل..عربيٌّ من الجزائر..و صديقي من مصر.

نظرت لهما "سام" باستهجان:

-أنتم العرب دائما ما تجدون العمل عندنا فقط.

شعر "وسام" بالغضب يكتله و تطاير الشرر من عينيه أراد الهجوم لكن كف "رياض" التي ربتت على فخذه ألجمته:

-أجل معك حق آنستي...لطالما وجد العرب فرصتهم في العمل هنا في بلاد الأجانب لم في رأيك؟...سأجيب...

تعتبر دول الأجانب من الدول العالم المتقدم و تحتاج دائما للعقول الفذة و العبقرية لتسيير عجلة تقدمهم لأنهم يملكون السيولة و الأموال "العملة الصعبة"بين قوسين...لكن المشكل أين هاته العقول؟...

أين ستجدونها؟...فتلجئون إلينا لمساعدتكم و توفرون لنا ما لم توفره لنا بلداننا...فلو لا وجود أدمغتنا المفيدة لما اضطررتم لخسارة أموالكم من أجلنا...تستطيعين القول "علاقة مصالح" نحن نستنزف منكم الأموالو الفرص...و أنتم تستعينون بأدمغتنا.

أنهى جملته بثقة تثلج قلوب الحاضرين و تخرسأفواههم ليبتسم له "وسام" بنصر:

-يسلملي بؤك يا كبير يا جميل.)باللهجة المصرية، هامسا له)

-هههه...اسكت..اسكت...خلينا نكملو لحكاية و نروحو)باللهجة الجزائرية ضاحكا على "وسام" الذي لم يفهم منه حرف)

حملقت أنظار الحاضرة إلى هذين الشابين المتهامسان...يقطع "رياض"تأملاتهم بلهجة واثقة جامدة ممتهنة:

-متى كانت آخر مرة رأيتم فيها الضحية؟قالت زوجته "داني نايف:"

-من عادة زوجي أن يغادر في الصباح الباكر إلى عمله ولا يعود بعدها إلى غاية التاسعة أو العاشرة و على الأكثر الحادية عشر ليلا، لكن في تلك الليلة تأخر كثيراً ...أصابني القلق عليه خرجت لشرفة غرفتي لأنتظره و لكن الواقعة كانت كبيرة علينا..

ميزت في ذلك الظلام جسد يطفو على سطح المسبح وما كانت غير جثة زوجتي...اتصلت بعائلتي و الشرطة.

-ألم تكن له أي عداوة مع أفراد أسرته أو مع أصدقاءه؟

-لا لم تكن له أي عداوة ...ربما مع منافسيه في السو ق...فهذا ما يعرف في مجال التجارة.

-و حضرتكم...هل لديكم أي رأي أو أي ش يء تضيفونه؟

قالت "نانس ي نايف" شقيقة الضحية:

-لا لا نملك أي ش يء يتم إضافته.

-هل لاحظ منكم أي تغير في تصرفات الضحية مؤخراً؟ردّ عليه "دايفيد نايف:"

-إن تواجدنا نحن الأشقاء في المنزل نادر جداً ...لذا لا يعلم أي أحد منا عن حياة الشخصية للآخر..بالأحرى لا نعلم أي ش يء عن شقيقنا "توماس."

-و هل هذا المنزل ملك لشقيقكم الضحية؟قالت "نانس ي:"

-لا...هذا المنزل لوالدنا الراحل...كما نملك أراض ي و شركته...لكن أخي لم

يدعنا نتمتع بأملاكنا و فضّل أن يكتب كل ش يء لنفسه.

عندها تدخلت زوجة الضحية:

-هذا ليس صحيح بل والدكم قبل وفاته كتب كل ش يء لزوجي الراحل و لم يكن يعلم بذلك حتى يوم قراءة الوصية أمامكم...لكنكم ظننتم أنه منأخذ ما تملكون رغم وقوفه على العمل بجد بينما أنتم كنتم تجوبون العالم للتجوال و اللّهو...لكن زوجي الراحل كان كريما معكم فقبل وفاته

)تنزل دمعة على وجنتها (بيوم واحد...قرّر الذهاب إلى الكاتب العدل لتعديل الوصية و إرجاع حقوقكم.

تفاجأ كل من في القاعة و حبست الأنفاس تحسرا لوفاته...عندها قالت

"نانس ي":

-يا الهي...شقيقي...لماذا؟

-حسنا...بقيت الخطوة الأخيرة و هي تفتيش غرف المنزل من فضلكم.

-رأيته يعود؟؟؟)بصدمة(...و رفقة شخص؟؟

-أجل أظنها سيدة تركب بجانبه على الكرس يّ ...رغم الظلام الدامس لكني استطعت تمييز جنس الراكب...تشبه زوجته لها شعر أسود طويل...اعتقدت لحظة أنها زوجته...لكني لمحتها تطل من شرفة غرفتها.

-هل أنت متأكد من ذلك؟

-أجل متأكد...بل كل التأكيد...هل لي بإدلاء شكي؟

أومأ له "رياض" برأسه إيجاباً و تابع الخادم كلامه:

-أشك بأن شقيقه "دايفيد" هو القاتل أو شقيقته "نانس ي" فهما من كاناأكثر مشاجرة مع سيدي الراحل بشأن الميراث.

-ما طبيعة شخصية زوجة الضحية؟

-لا أعرف عنها الكثير لعدم تحدثها معي و ليست كثيرة الحركة بل تقريبا إنسانة منطوية على

نفسها عكس شقيقتها المسافرة خارج البلد شخصية قوية و مرحة للغاية.

-شكراً عماه على المعلومات الهامة.

غادرا إلى الحديقة لرؤية المسبح لتفقده...تجول "رياض" حول الحديقة وبجانب المسبح منحني الظهر للأمام واضعا يده على ذقنه يحكه بتفكير و عيناه ضيقتان و ثابتتان...و بعد البحث الطويل و التفكير...لمح ش يء بين العشب انحنى إليه و بدأ في نبش الأرض حتى أخرجه كله...

-شعر مستعار؟؟؟؟...لما هو موجود هنا يا "رياض"؟؟؟

-بدأت ملامح هذه القضية تتضح...مازال أمامي ش يء واحد سأذهب لخادمة المنزل أسألها عنه.

-أشك بالجميع...فكلهم يملكون دافع لقتل "توماس نايف".

-أنا أشك بالآنسة "نانس ي نايف" شقيقة الضحية...تملك دافع قوي لإنهاءحياته...و كما أني لاحظت

اضطرابها النفسي...و لا تنسى ردّ فعلها حينما سمعت حقيقة ميراث والدهم و أن الراحل كان ينوي إعادة حقوقهم...و كأنها تشعر بالندم.

-معك حق في ذلك.

-إذا...لو اعتبرنا أن "نانسي نايف" هي القاتلة...فما قصة وجود الرمل على حافة المسبح و عدم وجود الدم في مسرح الجريمة؟

-ههههههه...أعتقد بأنك بدأت تشغل عقلك هذا..)يشير بسبابته لرأس "وسام"(..لو تعمقت قليلاً ستجد الحل.

-حسناً ...إذا كان ما افترضته صحيحاً فإن هذه القضية خارجة عن قضية "ثعلب الصحراء"...لحظة..

)يمسك شعره بكلتا يديه(...لكن الرمال؟؟؟...

يجعل استنتاجي متناقض.

بينما يتبادلان أطراف الحديث كانا قد وصلا إلى مركز الشرطة...يفتح المشهد على غرفة مكتب المفتش "أرمسترونغ" يجلس مع "رياض" و"وسام":

-ها...ما جديد قضيتنا يا "رياض"؟

-كل خير يا سيدي...لقد بحثت في قضية "ثعلب الصحراء"...و لقد كتبت لك جلّ ما تحتاجه في هذا الدفتر...من دلائل و استجواب المشتبه بهم...كما أني أرسلت بعض ما وجدته في مسارح الجريمة إلى مخبر الجنائي و قد اصدر تقرير بعد الفحص.

-جيد جداً "رياض" لم أكن مخطئا عندما لجئت إليك.

صمت "رياض" قليلا يسبر أغوار المفتش:

-سيدي...أريد منك خدمة؟

تعمق "أرمسترونغ" في دخانيتي عيني "رياض" يبحث عن إجابة:

-تفضل...ما لديك؟

-أريد أن أستغل وجودي هنا في البحث عن والدي.

تغلف الصدمة وجها "وسام" و "أرمسترونغ" غير متوقعان هذا الطلب:

-ما السبب؟...و كيف فجأة؟

-السبب لأنه أبي...و كيف؟...هذه من خصوصياتي...لكني وجدت مذكراته داخل قبو منزلي...يتحدث عن زيارته ل"أكسفورد" و بحثه عن ش يء غامض أو مهمة غامضة...لي الحق في البحث عنه...أليس كذلك؟

يسدل الستار على آخر يوم في التحقيق و بداية

البحث عن المجهول و يفتح المشهد على "رياض" و "وسام"و "محمد" حول منضدة الأكل يتناولون العشاء ويتبادلون أطراف

الحديث و ينثرون البسمة على وجوه بعضهم البعض:

-هااا يا "رياض" ألن تحن على أخيك بتفصيل القضية؟...سأجن.

يضع "رياض" ملعقته على الصحن...يشبك أصابعه أمام ذقنه و أسند مرفقيه على المنضدة و تحدث بجد:

الفصل الأخير



-أحب أولاً يا صديقي أن أوضح لك أن في هذه القضية لا وجود لما يسمى ب"ثعلب الصحراء"...مجرد لقب أطلقه رجال الشرطة على ست ضحايا وقعت ضمن أزمنة معينة في أماكن مختلفة برابط واحد مشترك ألا وهو الرمال الموجودة في كل مسرح جريمة...لقب وهميّ لقاتل من السراب...وهمٌ سيطر على الصحافة و على رجال الشرطة جعلهم يرون ما يريد و يغلقون عيونهم على ما لا يريد...قاتل نُسِجَ شكله في ذهن كل

مواطن...في خيال كل قارئ مقال عن هذه القضية...قاتل لا وجود له من الأساس...

مسرحية كان أبطالها الضحايا و مخرجيها يتخفو نوراء الكواليس يبصرون كيف تسير هذه المسرحية بدقة لا يحتاجون لأي جهد يبذل من أجل إنجاحها

فالجمهور يصفق و يشجع و يهلل و يفكر في المسرحيةمن منظورهم عكس منظور المخرجين.

بهت "وسام" لكلام "رياض" الغامض و ما زاد دهشته بسمة المرسومة على ثغر "محمد:"

-أحدكم يشرح لي ما لذي تتحدث عنه؟

-سأشرح لك و ستفهم أيضاً ...ما حدث بالجرائم الست بدءً بالجريمة الأ ولى مقتل"ماركو فلينتو ن" حتى الجريمة السادسة مقتل "توماس نايف"كلها جرائم معتمدة على قاتل وهميّ لا وجود له معتمدين على وجود الرمل كمموه أساس ي في القضية يصرف النظر عن

القاتل ليتهم قاتل غير موجود غير
مرئي...

(عندما ذهبنا مع بعض في التحقيق
بالجريمة الأولىبحثنا عن "ثعلب
الصحراء" لكن ما وجدته حرّفكل
المفاهيم و سلك سبيلا آخر...الضحية
"ماركو فلينتو ن" له أخت واحدة من الأم
تدرس

بالخارج قبل مدّة بعث لها برسالة تحمل
عنوان منزله ورقم هاتفه يخبرها فيها
بإمكانية مجيئها و
العيش معه...وصلت الرسالة لشقة الأخت
و وقعت في يديّ غير الأخت العدو
المتخفي وراء
قناع الصداقة...استغلت طيبة الأخت و
غيّرت العنوانإلى عنوان آخر و سافرت هي
بدل منها إلى هنا حيث يعيش "ماركو
فلينتو ن"...استقبلها هذا الأخير بالمطار

مرحباً بها علماً أنه لم يرى هذه الأخت قط...

عاشت منتحلة شخصية "أليس فلينتو ن" آملة في ميراث أخيها.

-م..174ماذا "أليس فلينتو ن" ليست أخت "ماركو فلينتو ن"؟-أجل و هنا باشرت في خطتها عندما علمت أن اسمها لم يذكر في الوصية بل ذُكِر اسم آخر لسيدةأخرى "جيسيكا لادو ر."

-أعتقد بأني عرفت من هي "جيسيكا لادو ر."

-أجل إنها هي..."جيسيكا لادو ر" أخت "ماركو فلينتو ن" الحقيقية.

-معك حق يا جدّ "محمد"...عرف ذلك صدفة و صارح "أليس" بما وجده...كشرت عن أنيابها تهديداً بقتل زوجته إن لم ينفذ ما تطلبه...لم يرضخ لها مما زاد حنقها و قررت إنهاء حياته مع صديقها "آدم"...قامت بتسجيل مكالمة سابقة بين "ماركو" و زوجته و التي

حدثت قبل شهر من وفاته يُعلمها بتأخره في العودة...و عرضتها ي وم الحادثة.

-فالأكيد أن الزوجة لن تتذكر مكالمة هاتفية عادية جرت قبل شهر.

-أجل يا "وسام"...و كان عرض المكالمة بعد الجريمة بنصف ساعة أي الخامسة و النصف...قام كل من "آدم" و "أليس" باستدراج الضحية إلى الشاطئ و هناك تم طعنه بسكين حاد على مستوى الظهر...تركا الضحية تنزف حتى الموت إلى آخر نقطة دم...تم حمله إلى مؤسسته و إدخاله المكتب...و وضعاه على الكرس ي...التصقت رمال الشاطئ بالجثة بشعر رأسه...عثرتُ على زر قميص رجالي و كان بالفعل ل"آدم" وقع منهأثناء نقل الجثة لم يعتقد أبداً أنه وقع بمسرح الجريمة.

-و لكن ما قصة الرسالة الغرامية التي عثرنا عليها بمكتب الضحية؟-هذا مجرد تمويه بسيط لتبعد الشبهات عنها...

وضعتها "أليس" بمكتب الضحية ليسهل على
زوجته العثور عليها...كما عمد "آدم" على ذكر
اللقاء بين "ماركو" و المحامية على أنها
سيدة غيرهاليثيرا الشك في علاقة
موجودة بين "ماركو" و
سيدة مجهولة...القاتل في هذه القضية
صديقة أخت "ماركو فلينتو ن" غير
الشقيقة الآنسة "أليس"و صديقها
"آدم"...قاتلين شابين تلاعبا بأشخاص
بالغين من أجل وسخ الدنيا "المال" فكّا
رابط الأخوة و أزهقا نفسا بغير حق...و
تلاعبا بمشاعر الزوجين...و في النهاية
لم يربحا شيئاً غير التعفن بسجن للأبد.

-هذا غير متوقع البتة...و ماذا عن
الجريمة الثانية "نيك آرثر"؟-هلا أتيت
معنا...من فضلك.

-لماذا؟؟...ماذا فعلت؟؟

-ستعرفين ذلك في مخفر الشرطة..هيا
أسرعي.

اقتادت الشرطة..الآنسة "أليس" و معصميها مقيدان...أحنت رأسها وصعدت جيب سيارة الشرطة..

-ما هذا؟؟...لم أنت هنا؟؟

-أتيت في نزهة مثلك...ألا ترين بأني متورط مثلك أيتها اللعينة...لقد دمرت مستقبلي بسبب جشعك أيتها الحثالة.

-أصمت أيها اللعين..بسبب غبائك وقعنا.

قادت الشرطة كل من "أليس" و "آدم" لاستكمال التحقيق.

يضع "محمد" كوب الماء جانبا:

-تركت تحقيق بالجريمة الأولى لك أنت و "رياض" و بحثت أنا في هذه القضية...ذهبت إلى منزل الضحية كما أخبرتكم من قبل ...عثرت على عدسة لاصقة خضراء اللّون ظننت بأنها للقاتل...لكنها ليست له وليست للضحية كما أنها ليست لزوجته...إنها تعود لحبيبته

الأولى...تعرف عليها و كانت أحد تلامذته و أقاما علاقة حميمة و بسبب

الظروف انفصلا و تزوج بزوجته الحالية بعد علاقة حب حقيقية عاشا بسعادة مدة زمنية لم تدم...فقد جاء من يعكر صفو العائلة...عادت حبيبته الأولى و حبلت منه هذه المرة و بدأت باستف زازه عبر فضح سره و تشويه سمعته...و كان ذلك ليلة وقوع

الجريمة...المفاجأة التي لم تكن في حسبانه أن زوجته سمعت حواره معحبيبته

و عادت للنوم بغضب شديد يعترها و من شدة اضطرابها لم تتناول دواء المنوم و بقيت مستيقظة...

قرّر زوجها إنهاء هذا الكابوس نهائيا و ذلك بقتل حبيبته الأولى...فقام بتقديم ساعة المنزل بثلاث ساعات و أضاف نصف حبة دواء منوم بالشاي لزوجته و ضبط المنبه على الساعة الرابعة فجراً...و فعلا رنّ المنبه على الرابعة و استيقظ كل الخدم بما فيهم "نيك آرثر" و كان

الوقت الحقيقي هو الواحدة بعد منتصف الليل...خرجت الضحية وبقراره مخطط قتل الفتاة التي حبلت منه و هو نادم على ذلك.

-و هكذا وقع في حفرة أخيه التي حفرها من أجله أي أنها قتلته.

-انتظر يا "وسام" لا تستبق الأمو ر...ما زال الكثيرحتى تعرف من هو القاتل...ركب "نيك آرثر"سيارته متوجها إلى الشاطئ لارتكاب جريمته...وصلإلى هناك حيث تنتظره الفتاة و دار بينهما حوارو شجار حاد...و المفاجأة الكبرى ظهور زوجته أمامه فيذلك المكان.

-و للحظة اعتقدت بأن زوجته طيبة لدرجة أنها سامحته.

-أجل تبعته إلى مكان لقاءه بالفتاة...و هناك دار شجار بين الثلاثة...تشاجرت زوجته مع الفتاة بالأيدي و اضطر "نيك آرثر" لفضالنزاع و الفصل بينهما...فأخذ علبة بيبس ي ممتلئة و ضرب بها رأسزوجته...سقطت

على الأرض مغمى عليها...و التفت لصديقته المرعوبة

خانقا رقبتها بيديه قاومت بشدة حتى طُرحتْ أرضا و لم يترك عنقها...

حتى صار هو مشنوقا بحبل حول رقبته يضغط عليه بشدة يصطك مفارقا الحياة.

-من يكون القاتل إن كانت زوجته مطروحة الأرض مغمى عليها و صديقته تلتقط أنفاسها... لحظة..ربما تكون صديقته قد رأت القاتل.

-لا لم تره يا "وسام" فقد كانت فاقدة الوعي هي الأخر ى...حمل القاتل الضحية إلى المنزل و رماه في كراج السيارة و صعد غرفة النوم و كأنه لم يستيقظ أبداً.

-لحظة..لحظة...لما تصعد لغرفة "نيك"...هل هي الخادمة..لا تقل أنها..

-ههه أجل يا "وسام" إنها زوجته...هي القاتلة...هي من شنقت زوجها ودفعت المال لإسكات الفتاة

أما بخصوص العدسة اللاصقة فهي لصديقة الضحية وقعت منها أثناء الشجار التقطتها زوجته بعدما لمحتها على الرمال و ألقتها في كراج السيارة و هذا لتبعد الشبهات.

-لكن يا ج د"محمد" لقد أثبتت الشرطة أن الضحية قُتِلَ بمادة السيانيد البوتاسيوم.

-أجل معك حق "وسام" عندما رمته في كراج السيارة حقنته بهذه المادة على مستوى الرقبة و لكن السبب الحقيقي هو الشنق و ليس السم.

-لكنهم لم يجدوا آثار الحبل على رقبة الضحية؟

-ملاحظة دقيقة...و لكن هل الحبل هو الوسيلة الوحيدة للشنق ألا توجد وسائل أخرى كالأسلاك أو قطع القماش...فكما تعلم أن قطع القماش لا تترك أثر الخنق و هذا ما تعثر على الأطباء التمييز بين الخنق

بقطعة قماش و الخنق بسم السيانيد البوتاسيوم...و هكذا انتهت قضية مقتل"نيك آرثر" و القاتل زوجته و الأداة الجريمة قطعة قماش وسبب الوفاة هو الشنق حتى الموت.

-هذا حقاً معقد لم أتوقع أن تكون الزوجة هي القاتلة كنت أظنها تلك الفتاة...و لكن من هو "ثعلب الصحراء"؟

****

يدخل شرطيان غرفة زوجة "نيك آرثر" الموجودة بالمستشفة يريانها تصريح التوقيف:

-يجب أن تأتي معنا سيدتي..أنت متهمة بقتل زوجك "نيك آرثر" أرجو أن تتعاوني معنا و تأتي بسلام.

طأطأت رأسها و ابتسمت ساخرة و ما كادت حتى تحولت إلى ضحكات جنونية مخيفة تهذي بكلمات غير مفهومة...و بعدها انقلبت من حالة جنون

إلى هدوء تمسك خصلة شعرها تلفها على إصبعها تدندن تهويدةأطفال.

يدخل الطبيب لمعاينتها و يكتب تقرير مستعجل لنقلها إلى المصحة.

****

يبتسم "رياض" بشقوة:

-اصبر يا رجل سأخبرك ما لم تستطع عليه صبرا نأتي الآن إلى القضية الثالثة التي حقق فيها الجدّ "محمد"...قضية سهلة للغاية ذلك الماكر أوكل لنفسه القضايا السهلة و ترك لي تشغيل

العقل..)يلتفت للجدّ (تشرحها أنت أم تدعها لي؟

-أولا خذ هذه)يضربه بعصاه على رأسه(على كلمة الماكر...ثانيا سأشرح قضيتي السهلة...

القضية الثالثة مقتل "جون ساوروا" بعدما شرحتلكم التفاصيل قبلا و لم أذكر اسم القاتل...لأنأداة الجريمة مفقودة...كانت هذه الأداة على شكل إكسسوار تلبسه الآنسة "تيفاني".

يقطع كلامه "وسام":

-القاتلة هي "تيفاني"؟؟؟؟

-أجل...بعدما اكتشف الضحية العقود التي تحمل توقيع الآنسة "تيفاني"تنص عن تهريب أدوية غير قانونية...فض تلك الشراكة الموجودة بينهما...و هددها بتوقيف عملها كدكتورة إن لم تتوقف عن التهريب...هيهات لنفوس لم ترتوي من الجشع...

كيف تترك شخص يهدد حياتها و يقف حائل أمام الأموال...قتلته في غرفته بدم بارد...شنقته بحبل التف حول رقبته قاطعا كل نفس يجعله حياً ...و تركت الغرفة و احتفظت بالحبل على شكل إكسسوار عبارة عن علاّقة حقيبة يد لا تفارقها أبداً ...لن يأتي في بال أي رجل من رجال الشرطة أن ذراع حقيبة اليد تحملها صديقة الضحية تكون هي أداة الجريمة...و بالتأكيد لو فحصنا تلك الذراع لوجدنا آثار دماء الضحية المتسربة من بعض الخدوش من أثر المقاومة و احتكاك الحبل

بالجلد...و طبعا أثبت الطبيب الجنائي استنتاجي.

-هكذا إذاً ...إنها قضية سهلة بالنسبة لكم و لكنها صعبة أمام شخص عاديلا يملك عين نسر كعينك يا جدّ "محمد"...و لكن لحظة و الرمل الموجود في غرفة الضحية؟

-استغلت المقالات الصحفية التي نشرت عن الجرائم السابقة و عن سبب وجود الرمال و عن القاتل المجهول...أرادت إبعاد نفسها عن الشبهات بإضافةلمسة سحرية تبعدها عن ساحة الاتهام و فعلا كان لها ذلك.

-هذا في قمة المكر و الخبث.

****

يستدعي الشرطي الأخر و يتهامسان فيما بينهما...لتقطع حديثهما بصوت مرتجف:

-هل هناك خطب ما بجواز سفري؟

-لا ليس هناك خطأ به..لكنك ممنوعة من السفر خارج البلاد.

تصدم لهذا الخبر و تثور غضبا:

-كيف ذلك يا أغبياء...

يقطعها صوت المفتش "أرمسترونغ:"

-أنت موقوفة بتهمة قتل السيد"جون ساوروا" شريكك بالعمل...)يوجه كلامه لمساعده(..أحضرها معك.

****

يكمل "رياض" حديثه:

-القضية الرابعة مقتل "مارتن كورتاز" الكاتب الشهير و التي كانت تحتأيدينا يا "وسام" و لم يتدخل فيها الجدّ "محمد الماكر...كان سبب الوفاة و هو الاختناق بغاز ثنائي أكسيد الكربون المنبعث من سيارته وتفاصيل البحث حدثتكم عنها سابقا...

لكن مالا تعلمونه وجودي لمكالمة صوتية سمعتها عند مكتب الاتصال لسيدة تقو ل"أنا انتظرك أمام المكتب إن لم تأتي سأتأكد من فضحك أمام الملأ و سيرى الناس حقيقة الكاتب اللعين."..

-و هل عرفت من تكون السيدة؟

-إنها القاتلة يا "وسام"...التي قتلت الكاتب "مارتن كورتاز"...ففي يوم السابع و العشرين من يناير خرج "مارتن" للقاء تلك السيدة لتسوية الأمر بينهم...وصل لمكتبه و ركبت تلك السيدة بجانبه في السيارة وتناقشا عن أمر ما لكن المناقشة اشتدت و اشتعل الشجار و بغفلة منه أخرجت تلك السيدة من حقيبة يدها قارورة غاز معبأة ب غاز ثنائي الكربون رمتها بسيارة و خرجت متظاهرة بالمغادرة و بما أن "مارتن" غاضب لم يخرج من السيارة و لم يلحق بها... و بما أن الجو بارد في يناير كانت نوافذ السيارة مغلقة...

بدأ الغاز بتسرب و بدأت الضحية في استنشاقه حتى شعر بالاختناق أ راد فتح الباب للخروج فتفاجأ بوجود تلك السيدة تصد عنه الباب وتمنعه من الهروب للحياة...تثاقلت حركته و تناقصت أنفاسه و خارتقواه و سقط مفارقا الحياة.

-أظن بأني عرفت القاتل إنها "ماريا" زوجة شقيقه أليس كذلك؟تبسم "رياض" و يكمل حديثه:

-أقول لك يا صديقي بأنك مخطئ في ذلك، "ماريا" زوجة شقيق الضحية ليست بالقاتلة.

-إذاً فهو شقيقه، أشك به.

-و ليس هو أيضا.

-و من يكون إذاً؟

-هل تتذكر عندما أخذت خصلة شعر من مشط "ماريا" و قمت بتحليلها في المخبر الجنائي...وجدت بأن

تلك الخصلة تطابقت تماما مع الخصلة التي وُجِدتْ في سيارة الضحية و ذلك بتطابق الحمض النووي.

-و هذا دليل على أن "ماريا" هي القاتلة.

-لا..ليست هي فتلك الخصلة للشعر التي نزعتها من مشطها لم تكن لها فكما لم تلاحظ ذلك يا صديقي...لاحظتُ اختلاف في الشعر الموجود بالمشط

فأخذت خصلتين كل واحدة من نوع و ثبتت ظنوني فقد كانتاالشعرتين مختلفتين واحدة تعود ل"ماريا" زوجة شقيق الضحية و أما الأخرى تعود للقاتلة.

-من تكون؟؟...لقد أثرت فضولي.

-فبعدما ظهرت نتيجة التحليل عدت إلى منزل الضحية و قمت بسؤال السيدة "ماريا" عن آخر مرة استعملت المشط و أجابت كالتالي"إنها صديقتي "أندريا مونتيرو" فيآخر زيارة لها لنا...التقيت بالآنسة "أندريا مونتيرو" و أخذت خصلة من شعرها دون علمها و كانت النتيجة ايجابية فقد تطابق الحمض النووي للخصلة الموجودة بمسرح الجريمة و على المشط "ماريا" و التي أخذتها من شعرها.

-هي القاتلة؟؟

-أجل هي القاتلة...اتصلت به على تمام الساعة التاسعة صباحاً و خرجت لالتقاء به و قُتِلَ على تمام الحادية عشر صباحاً و لقد كانت مع "ماريا"على العاشرة صباحاً قبل أن تلتقي بالضحية و هذا

لتضمن وجود شاهدة معها على غيابها عن مسرح الجريمة و الساعة ما بين العاشرة و الحادية عشر ارتكبت الجريمة.

-هكذا إذاً ...و لكن ما قصة وجود الرمل في مسرح الجريمة؟

-كعادة المجرم يطّلع على الأخبار المختصة بالجرائم في الصحف و يستوحي فكرة جميلة تنال إعجاب الناشرين و القارئين يطبقها لتمويه رجال الشرطة و يقف يضحك على خيبتهم.

-إنها حقاً داهية و ماكرة هن النساء هكذا.

-انتهت قضية الرابعة الضحية "مارتن كورتاز" الكاتب الشهير و القاتل صديقته "أندريا مونتيرو" التي فضلت استحواذ عن كتب غير شرعية و غير قانونية كانا يتاجران بها...و سبب الوفاة الاختناق حتى الموت.

****

-أنصحك بالتعاون معنا...و قولك الحقيقة سيساعدك على تخفيف الحكم.

-قلت لك ألف مرة يا سيدي...لست بالقاتلة أنا بريئة..بريئة.

وقف المفتش "أرمسترونغ" و اتجه للنافذة يطل منها:

-حسنا أنت جنيت على نفسك...معنا الأدلة التي تدينك و سيكون حكمك الإعدام لارتكابك جريمة قتل مع سبق الإصرار و الترصد

-القضية الخامسة مقتل "ماريو ولسو ن" مساعد مخرج مسارح و الذي وُجِدَ مقتولاً في الحديقة الخلفية لمنزله جالسا على كرسيه محقوناً بإبرة هواء على مستوى الرقبة...من هو القاتل؟

****

يكمل "رياض" شرحه تفاصيل القضية ل"وسام":"

-تفاصيل التي تخص هذه القضية شرحتها مسبقاً مازال كشف هوية القاتل فقط و فك

بعض الغموض...خرجت الضحية بعدما كان مجتمعمع عائلته إلى الحديقة الخلفية لغسل سيارته

مرتديا ملابس شقيقه المنزلية كما أخبرنا مسبقاً شقيقه أنهما يتبادلان ملابس بعضهما البعض...

وجدت تقرير طبي فيه أدوية حمل...كما وجدت في غرفة الخادمة علاّقة قلم حبر ذهبي اللو ن.

-أجل هذا صحيح...أذكر أنك طلبت منهم قلم حبر لترى...من صاحب تلك العلاّقة.

-صح...خرج "ماريو ولسو ن" إلى الحديقة لغسل سيارته مرتديا ملابس شقيقه المنزلية على الساعة الثانية مساءً...

خرج وراءه القاتل و أراد قتله بحقنة هواء...سقط "ماريو " ميتاً ...دخل القاتل خائفاً إلى المنز ل...وجدت الأدلة)التقرير الطبي..(أخذتها لطبيب مختص

أخبرني أنها لسيدة حامل في شهرها الرابع.

-هل هي لزوجة شقيق الضحية؟

-لا لم تكن لها...بل لشخص آخر...أما بخصوص تلك العلأقة...و عندما طلبت منهم قلم حبر قدمت لي زوجة شقيق الضحية قلمها لتصيبنيالدهشة محت كل استنتاجاتي عن القاتل...لكني عدت من جديد

لأتفحص ذلك القلم الذهبي اللون فوجدت به خط صغير باللون الأحمر مرسوما عليه في كل الحواف و تلك العلأقة خالية من هذا الخط و هنا عدت إلى استنتاجي الأولي...زوجة شقيق الضحية ليست القاتلة بل فعلت ذلك لتحمي زوجها من دخول السجن.

-هل تقصد بأن زوجها هو قاتل أخيه؟

-أجل هو القاتل، فقد كان شقيق الضحية على علاقة بالخادمة مما جعلها حبلى منه.

-و هل تقصد بأن التقرير الطبي يخصها؟

-أجل...طلبت منه أن يتزوجها لكنه رفض بكل الوسائل..فقررت قتله في يوم الذي قُتِلَ فيه "ماريو ولسو ن."

-و لكن "ماريو" هو الضحية و ليس شقيقه؟

-هذا صحيح...خرج "ماريو" بملابس شقيقه...فبدا و كأنه هو تماما و هذا ما اختلط على الخادمة و التي ظنته بأنه شقيق "ماريو" لتغرز إبرتها ب رقبته بقوة و يسقط أمامها المقتول بالخطأ..صُعِقَتْ لما فعلته و من قتلت.

-و لكن لماذا زوجته أرادت حمايته؟

-لأنها على علم بالعلاقة الموجودة بين زوجها و الخادمةو كانت تعتقد بأنه القاتل و أدركت عندما تحقق الشرطة ينكشف كل ش يء و تلصق التهمة بزوجها...فبعدما علمت أن قلم حبر زوجها قد كسر و انفصلت عنه العلأقة و سقطت بغرفة الخادمة قامت بفصل علأقة قلمها لإبعاد

الشبهات عن زوجها و تدمير معالم الجريمة و لم تعلمأنها تحمي ذئبا بسببه توفي شقيقه "ماريو ولسو ن."

-شقيقه هو القاتل بطريقة غير مباشرة.

-معك حق..اختلاط و التباس بسيط في الهيئة و لباس راح ضحيتها شاببريء و ثُركَ الفاعل حراً.

-أجل..نتيجة النفور من استخدام العقل الحكيم والتهور في اتخاذ القرارات يخلف جرائم شنيعة وكوارث معنوية و آفات اجتماعية كله بسبب موت الضمير و خمول العقل و اشتعال الغيرة و حب الانتقام.

-و هذا ما أحاول فهمه لكني لا استطيع.

قالها الجدّ "محمد" بحزن و ابتلع غصة الألم.

****

-لا أصدق يا حقيرة بأنك أنت القاتلة...كدت أضيع و يضيع زوجي بسبب إجرامك...فلتتعفني في السجن.

-زوجك هو الخنزير...هو الملام في هذه القضية...هو من أغواني و وعدني بالزواج

لينال ما يريد...أسأل اللّه أن يعاقبك أيها السافل.

قادت الشرطة الخادمة إلى مخفر الشرطة تاركين عاصفة هوجاء تدمر أسرة كاملة.

****

-و الآن بقيت أمامنا القضية الأخيرة و السادسة مقتل "توماس نايف" مدير مؤسسة تجارية للأقمشة...آه...و هل أضافت الخادمة لمسرح الجريمة لمسة "ثعلب الصحراء" بذرها القليل من الرمال.

-أجل...لم تنس ى ذلك ...سألتها عن ذلك قالت لي بأنها سمعت بعض الخدم يتحدثون عن "ثعلب الصحراء" المتهم بقتل المتسلسل و لمسته السحرية ترك مخلفات من الرمال وراءه بمسارح الجريمة...نأتي للقضية الأخيرة و التي قُتِل فيها "توماس نايف"...بعدما حققنا فيها و شرحت لكم تفاصيلها و ملامحها من قبل و جمعنا الأدلة و عثرت على القاتل.

-أظنه شقيق الضحية السيد "دايفيد" أو "نانس ي" شقيقته و هذا طبعا من أجل الإرث.

-سأسرد لكما القصة كما حدثتْ و هكذا ستعرف القاتل من...خرج السيد "توماس نايف" في الصباح الباكر و عادة ما يكون موعد عودته مبكراً الحادية عشر على الأكثر لا يتأخر بعدها...لكن ليلتها تأخر في العودة مما أثار هلع زوجته...فخرجت لشرفة غرفتها تنتظره لكن الخادم قال بأن سيده قد عاد في وقت منتصف الليل مع سيدة فكيف إذاً لم تلاحظ زوجته قدومه.

-ربما دخلت لتفعل ش يء في وقت قدومه...في مدة غيابها تم قتله و رميه في المسبح.

-و إن كان كلامك صحيحاً أين الدم الذي لم نجده في مسرح الجريمة.

-إذاً تم قتله بمكان آخر بعيد عن المنزل و ألقاه القاتل بمسبح منزله أي أن المنزل لم يكن مسرح الجريمة.

-هذا صحيح لقد قُتِلَ خارج منزله.

-و لكن الخادم رآه برفقة السيدة يعود للمنزل...كيف ذلك؟

-بسيطة...لأن السائق ليس الضحية بل القاتل.

-ه ا القاتل؟؟..كيف؟؟ و السيدة بجواره من تكون؟...أيعني هذا وجود قاتلين؟

-معك حق في تساؤلك الأخير هناك قاتلين في هذه القضية لكن أحدهما تواجد في المنزل أثناء ارتكاب الجريمة والآخر مُرتكبها و قاد السيارة.

-أنا لم أعد أفهم شيئا...أسرد لي التفاصيل يا "رياض."

-التقى "توماس نايف" بالقاتل و الذي يعرفه معز المعرفة..قتله و ذلك بذبحه على مستوى الرقبة...انتظر القاتل حتى تجف الجثة من الدماءو نظفها من أي أثر يقودنا إليه فقد كان يملك القوت كله لوجود أحدهم يحتل مكان غيابه...أنهى القاتل عملية التنظيف و لفها ببلاستيك لكي لا تنتشر بقع الدم على كراس ي السيارة و أدخلها السيارة

واضعاً شعراً مستعاراً أسوداً طويلاً ..لتظهر الضحية في الظلام الدامس على أنها سيدة...قاد القاتل سيارته و دخل المنزل و بكل بساطة ساعده شريكه برمي الجثة بالمسبح و ذر بعض الرمال على حافته و هذا لربط هاته القضية بالقضايا السابقة و القاتل "ثعلب الصحراء."

-إذاً القاتلين هما "نانس ي" و "دايفيد."

-عندما وجدت الشعر المستعار مدفوناً في حديقة المنز ل...ذهبت و سألت الخادمة عن أفراد العائلة و عن ملاحظتها لأي ش يء غريب حدث يوم الجريمة..و ما أخبرتني به أكد ما شككت به.

-ماذا قالت لك؟

-قالت بأن زوجة الضحية خرجت صباحاً ...ثم عادت على الساعة الثانية عشر منتصف النهار و كانت كلما تذهب إلى أي مكان من المنزل تصادف سيدتها و كأنها شبح يتنقل بسرعة فائقة..و هنا عرفت هوية القاتل...إنها زوجته و شقيقتها هما القاتلتان.

-م اذا؟...تلك الملاك و الطيبة هي القاتلة؟

-أجل فقد لحقت زوجة "توماس نايف" به و قتلته و حلت شقيقتها مكانها و ذلك للشبه

الكبير بينهما...كما أخبرنا أنه رأى سيدته تطل من الشرفة لم تكن هي بل شقيقتها..لكن الظروف لم تخدم القاتلتين فالخادمة رأت وقت منتصف الليل زوجة الضحية تدخل المنزل من الباب الأمامي و عندما عادت للمطبخ رأت

شقيقة زوجة الضحية تدخل من الباب الخلفي للمنزل لكنها لم تعتقد أنذلك غريب اً...القاتل في هذه القضية زوجة الضحية و شقيقتها.

-ألم تلاحظ يا "رياض" بأن القاتل في كل قضية هو امرأة و ليس رجل.-أجل..و هذا أولا لكيدهن العظيم و دهائهن في نسج خيوط الجريمة بدقة باستخدام المقالات و الصحف و الأقاويل التي تداولها عامة الناس و استغلال

الظروفالتي خدمتهن كثيراً و استفدن
من الجرائم التي
حدثت سابقاً و هكذا ستبدو كسلسلة
قتل متواصلة لوجود رابط الرمل و
لكني لم أرى بأن اللقب
"ثعلب الصحراء" غير صحيح أو خاطئ بل
إنه يليق بهاته القضايا و هذا لأن المرأة
ماكرة بطبيعتها وذكية بفطرتها و
قوية بشخصها و قلبها هو المتحكم
وليس عقلها لكن في مثل هاته القضايا
تحكم العقل والقلب معاً ...لم يكن

هناك "ثعلب صحراء" بل "ثعالب
صحراء."

-إنها حقاً قضية ممتعة و مشوقة لقد
استمتعت و أنا أعيش أحداثها.

نهض "رياض" باتجاه نافذة الشقة و وقف
عندها

بجذعه الطويل يضع يديه بجيوب
سرواله مباعدا قليلا بين رجليه...و فجأة
فُتِحَتْ النافذة للشقة المقابلة لشقتهم
لتطل منها فتاة في العشرينات من عمرها

بشعرها المظلم الطويل المنساب كأمواج البحر على كتفيها ...بوجهها الملائكي المشع نوراً و بعينيها الزرقاوتين تسبحان في ذلك البياض تصنع لوحة فاتنة للناظر بشفتين مكتنزتين قليلا قرمزيتي اللون مثيرتان جعلته يبتلع ريقه بجفاف حلقه...تسمر"رياض" مكانه و تجمدت عضلاته و توقف الزمن به...توقف كل ش يء في نظره إلا تحركات تلك الفتاة:

-رياض..ريـ اض...)يلتفت للجدّ "محمد"(ما به تجمد في مكانه هكذا؟هزّ الجدّ "محمد" كتفيه ببسمة خبيثة.

-لا أدري ما به.

بقي "رياض" ينظر لها بافتتان و حب من أول نظرة.................يتبع

النهاية

تمت بحمد اللّه

لن أتوقف حتى أنجح

في النهاية لابد من النجاح

آجاثاكريستي

عندما تستبعد المستحيل

فإن المتبقي يكون حقيقة مهما

بلغت غرابتها

كونان آرثر دويل

فاطمة زواي

اقرا المزيد على

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

www.hakawelkotob.com